

دكتورة أمل خليفة

هزيمة أمريكا في فيتنام

مقارنة بين التجربة الفيتنامية والتجربة الفلسطينية



■ ضغط الخسائر
■ الفلسطينيون أسعد حظا من
الفيتناميين فهم وسط أهلهم وهم
أغنياء ومن أكبر مستوردي
السلاح
■ بيترأنت أكبر مراسل حربي في
التاريخ يفضح في مذكراته
جرائم الجنود الأمريكيين
ويصف ذعرهم وفرارهم أمام
الفلاحين الفيتناميين

■ كيف فشل أكثر من نصف مليون
جندي أمريكي في غزو فيتنام
■ التخطيط وصمود الفيتناميين
وتفوقهم أجبر الأمريكيين على
طلب الجلوس للتفاوض
■ الرئيس كيندي يأمر باستخدام
مبيدات محرمة دوليا للقضاء
على الغابات والقرى الفيتنامية
■ كيف تحاليل الرئيس نيكسون
على قرار الانسحاب ثم عاد تحت

مكتبة مدبولي

منتدى اقرأ الثقافي

www.iqra.ahlamontada.com

هزيمة أمريكا في فيتنام

مقارنة بين التجربة الفيتنامية والتجربة الفلسطينية

مكتبة مديبولي

العنوان: ٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة
تليفون: ٥٧٥٦٤٢١ - فاكس: ٥٧٥٢٨٥٤
الكتاب: هزيمة أمريكا في فيتنام
مقارنة بين التجربة الفيتنامية والتجربة الفلسطينية
الكتاب: د. أمل خليفة
رقم الإيداع: ٢٠٠٤ / ١٣٩١٣
الترقيم الدول: 977 - 208 - 412 - 9
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
الطبعة الأولى: ٢٠٠٥

مكتبة الجامعة العربية

العنوان: ٥٧ & ١٠ شارع السلام - أرض اللواء - المهندسين
تليفون: ٣٢٥٦٠٩٨ - ٣٢٥١٠٤٣ - فاكس: ٣٢٩١٤٩٧

دكتورة أمل خليفة

هزيمة أمريكا في فيتنام

مقارنة بين التجربة الفيتنامية والتجربة الفلسطينية

- ✧ دوافع أمريكا لغزو فيتنام وكيف فشل أكثر من نصف مليون جندي في تحقيق الهدف
- ✧ التخطيط وصمود الفيتناميين وتفوقهم أجبر الأمريكيين على طلب الجلوس للتفاوض
- ✧ الرئيس كيندي يأمر باستخدام مبيدات محرمة دوليًا للقضاء على الغابات والقرى الفيتنامية
- ✧ كيف تحايل الرئيس نيكسون على قرار الانسحاب ثم عاد تحت ضغط أرقام الخسائر في جنوده وانسحب
- ✧ واجب الدول العربية في مؤازرة الفلسطينيين بالمال والسلاح والإعلام فالعسكري الصهيوني جبان تظهر شجاعته فقط في مواجهة الأطفال والعجائز
- ✧ الفلسطينيون أسعد حظًا من الفيتناميين فهم وسط أهلهم وهم أغنياء ومن أكبر مستوردي السلاح
- ✧ بيتر أرنت أكبر مراسل حربي في التاريخ يفضح في مذكراته جرائم الجنود الأمريكيين ويصف ذعرهم وفرارهم أمام الفلاحين الفيتناميين

الناشر

مكتبة مدبولي

2005

مقدمة

في عالم الكرة عندما يتهيأ فريقاً لمقابلة آخر من بلد أجنبي ، يسارع مدرب الفريق باستدعاء كل المعلومات المتاحة عن الفريق القادم ، ولا بد له أن يحصل على أشرطة فيديو مسجلة لعدد من مبارياتهم الحديثة ثم يجمع لاعبي فريقه ليروا طريقة لعب خصومهم ، وليتابعوا معه - بدقة - خططهم في الملعب ، كيف يدافعون ، وكيف يهاجمون ، ومن أى الأركان يبدؤون هجماتهم ومن أى الزوايا يجيدون التصويب ..

فإذا ما اطمأن لما لديه من معلومات عن خصمه وضع خطته بناءً على ما يراه مناسباً للتصدي لهم .

هذا في عالم الكرة . ونحن اليوم أعلنت الولايات المتحدة علينا الحرب ، وبارجها وقاذفات صواريخها ومدمراتها محدقة بنا بالفعل من كل جانب ، ومعركتهم معنا بدأت بأفغانستان ثم العراق ، ولا نعلم على من سيكون الدور القادم ، ولا يبدو للمعركة نهاية .

فما الذى نعلمه عن الولايات المتحدة وعن حروبها الحديثة ؟

إن كانت مباريات الكرة - التى لا تعدو أن تكون لعباً - يحتاج المدربون فيها إلى أن يعاينوا بدقة خطط لعب خصمهم في مبارياته السابقة ، أفلا نحتاج إلى أن نعلم عن الولايات المتحدة خطط لعبها - أقصد حربها - في معاركها السابقة! إننا اليوم نخوض حرباً - بل سلسلة حروب - تهدف في نهايتها إلى تصفية وجودنا وإلغاء كيانتنا ، إلى تغيير خرائط بلادنا ، وكذا مكونات عقولنا ، كى تتناسب مع ما يراه الأسياد .

إن أيديهم ممتدة نحو رؤسنا ، يتهاون لشقها بالمشارط ، وفي نيتهم أن يحذفوا من تلافيف عقولنا مالا يروق لهم ، ثم يوسعون موضعاً لبعض الأسلاك تتصل بما في أيديهم من أزرار للتحكم فينا عن بُعد فيما يسمونه نظام "الريموت كنترول" ، وساعتها سيسهل أن نتحرك وفق مشيئتهم بلا معارضة .

فهل ترانا نفيق قبل أن تصل مشارطهم إلى عقولنا ، أم أننا دخلنا في الغيوبة ولا نملك أن نفيق منها ؟

أما الإجابة التي أوقن بها هو أننا - رغم كل شيء - لا نزال نملك قلوبنا وعقولنا ، وهما معاً يمثلان مفتاح النجاة مما نحن فيه وما نحن مقبلون عليه من مهالك ، والمطلوب منا هو أن نحفظ قلوبنا وعقولنا إلى النهاية .

أما القلوب فحفظها أن تظل موصولة بالله سبحانه وتعالى وهو وحده القادر على أن يهبنا ما نتمناه ، فإن تمنيينا الغلبة والنصر فالله عز وجل يقول لنسا : " وما النصر إلا من عند الله " .

فالنصر يأتي من عنده جل وعلا ولا مصدر له إلا من عند الله ، وهو القادر على أن ينصرنا ويهزم جمعهم كما نصر نبيه صلى الله عليه وسلم وهزم جموع الأحزاب يوم تادوا وتجمعوا وأحدقوا بالمسلمين ليستأصلوا شأفة الإسلام وينهوا أمره .

أما عقولنا فيجب أن نحرص على أن تظل واعية يقظة : واعية بما يحدث حولنا من أحداث وموارات ، يقظة لما يخططه أعداؤنا .

غير أن اليقظة لن تكتمل إلا بمعرفة مدى قوة خصصنا وكذا نقاط ضعفه ..

والحقيقة أننا لا نحارب غولاً ولا عدواً لا يقهر ، فالولايات المتحدة هزمتها قبل اليوم دولة صغيرة فقيرة في ستينات القرن العشرين هي فيتنام ، وأخرجت جيوشها خزايا تعلق جراحها التي لا أظنها قد اندملت إلى الآن في أعماق

تمهيد

هل تتخيل أن الحملات العسكرية التي شنتها الولايات المتحدة في النصف الثاني من القرن العشرين - أى خلال خمسين عام فقط - أكثر من خمسين حملة ؟ إنه رقم مخيف ، وحقيقة مذهلة أن تكون هناك دولة - مهما كان وضعها أو قوتها - بعثت بجيوشها إلى مختلف دول العالم لتغير عليها خمسين مرة خلال خمسين عام ، بمعدل دولة كل عام لو صح القول !

" اضطرت أمريكا في عام ١٩٦٨ إلى حشد ما يزيد على المليون مقاتل خارج حدودها وأكثر من ٣٣ ألف طائره في مطارات متناثرة حول العالم كله وعشرات الآلاف من الرجال فوق القطع البحرية ، وعدد مجهول من رجال المخابرات المركزين السريين المنتشرين داخل ما يقرب من ٦٠ دولة وكذلك شبكات مكونة من ألفى قاعدة صواريخ .. "

(موجز تاريخ الولايات المتحدة - آلان نيفيتر ، هنرى كوماجر)

وإذا كانت بريطانيا قد ظلت زمناً توصف بأنها الدولة التي لا تغيب عن ممتلكاتها الشمس فإن الولايات المتحدة اليوم هي الدولة التي لا تغيب الشمس عن بوارجها وقاذفاتها ومدمراتها ! فالقوات الأمريكية البرية والبحرية ، وكذا القواعد العسكرية منتشرة في كل أرجاء الكرة الأرضية ، واليد الطولى لأمريكا تمتد لتصل إلى كل موضع على وجه البسيطة بلا حرج أو وجل .

ونظراً لهذه الحقيقة المذهلة ، فإننا لن نتمكن من أن نحصى الأيادي الأمريكية البيضاء على كل هذا العدد من الدول التي نالت شرف القذائف والقنابل المذيلة بتوقيع U.S.A لأننا سنحتاج إلى مجلدات ، ولكننا سنضطر لأن نكتفى بأن نأخذ عينة ، مجرد عينة من حروب الجيوش الأمريكية المظفرة في أنحاء الأرض .

فسأى الدول ترانا نختار وكلها محظوظة نالت الشرف السامى ، والجيوش الأمريكية تركت على أراضيها بصمات واضحة وقوية - لم نمح آثارها بعد - رغم مرور عشرات السنين ، وربما سيحتاج البعض منهم إلى زمن أكثر مما مضى كى تنتهى هذه الآثار المشرقة ؛ فالطائرات الأمريكية المظفرة أُلقت في نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ قبلتين ذريتين على مدينتين من مدن اليابان هما هيروشيما ونجازاكي ، رغم أن كلا من المدينتين لم يكن بهما الجنود اليابانيون في الثكنات العسكرية وإنما كان يعيش فيهما المدنيون من اليابانيين في بيوتهم آمنين ، وبعد تسعة عشر عاماً من إلقاء القنبلة الذرية الأمريكية احتفل أهالى مدينة هيروشيما عام ١٩٨٤ بنمو أول زهرة على أرض المدينة !

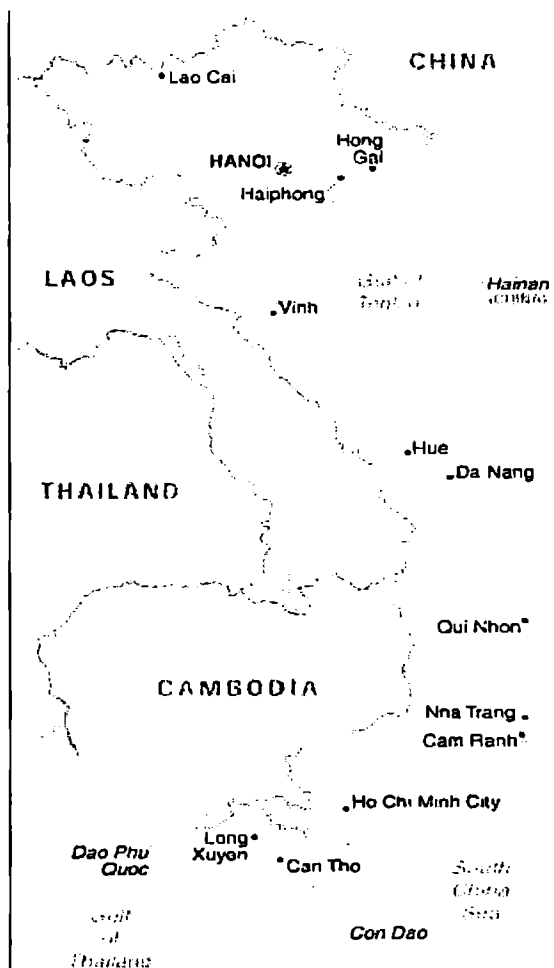
وإذا حاولنا أن نتقصى الآثار الأمريكية " المباركة " المعلقة الواضحة نجد أن الجيوش الأمريكية في الخمسينات حاربت في كوريا وتدخلت في اليونان ، وفي الستينات قصفت كوبا كما دخلت غمار حرب طويلة في فيتنام ، امتدت إلى السبعينات وتوسع نطاقها حتى شملت كذلك جيرانها دولتي لاوس وكمبوديا ، وفي الثمانينات قصفت الطائرات الأمريكية المدن الليبية ، وعالت فساداً في السلفادور ، ونيكاراجوا وكولومبيا . وفي مطلع التسعينات ضربت العراق ضربتها الأولى ودخلت جيوشها إلى الصومال ويوجوسلافيا ولبنان ..

أما القرن الواحد والعشرين فرغم أنه لم يمر منه سوى سنوات معدودة إلا أن الولايات المتحدة احتلت خلالها كلا من أفغانستان والعراق ..

والحقيقة أنني ترددت طويلاً في الاختيار غير أنني قررت أن أختار أكثر هذه العيّنات وضوحاً حيث أرتكبت الجيوش الأمريكية كل الفظائع والمحرّمات وإن كانت في النهاية لم تفلح في أن تمنع الهزيمة المنكرة عن جيوشها ..

وبالطبع يمكنك أن تخمن ، إنها فيتنام التي مرغ شعبها كرامة الجيش الأمريكي في الوحل ، وخرجت القوات الأمريكية من بلادهم بحر أذيال الخيبة بعد أن تجرّعت مرارة الهزيمة .

كوريا
المعروف
كوسا
فيتنام
لاوس
كمبوديا
ليبيريا
السلفادور
نيكاراغوا
كولومبيا
العراق
أفغانستان



حرب فيتنام

فيتنام أظن أن أول ما يتبادر إلى ذهن أى منا حين يُذكر أمامه اسم فيتنام هو الحرب التى دارت بين فيتنام والولايات المتحدة وخرجت منها الجيوش الأمريكية كسيرة الجناح تلعلم جراحها وتداوى العقد النفسية لدى جنودها وأسرههم ..

ورغم أن هذه المعلومة معروفة ومشهورة غير أن أغلبنا لا يعرف أى معلومة عن فيتنام أكثر من ذلك !

فلقد ظلت زمناً أتوهم أن فيتنام هذه دولة من دول أمريكا الجنوبية من شدة التصاق اسمها بأمريكا حتى اكتشفت بعد زمن من تأصل هذا الوهم أنها فى قارة آسيا وليست فى قارة أمريكا !

أما متى كانت هذه المعركة بين فيتنام والولايات المتحدة ؟ ولماذا قامت ؟ وماذا حدث فيها ؟ وإلى أى شيء انتهت ... كلها أسئلة يجمع بينها شيء واحد مشترك : إنها كلها بلا إجابة !

و الحقيقة أن كثيرين منا إن حاولوا أن تذكر مصدر معلوماتهم عن حرب فيتنام مع الجيوش الأمريكية فلن يجدوا سوى الأفلام الأمريكية التى تناولت المعركة ضمن أحداثها على أنها حليم ونار دون تفاصيل أكثر من ذلك .

إننا نسمع اليوم سؤال يتردد كثيراً عن العراق أيصير فيتناماً جديدة للحدود
الأميركيتين ؟ لكن كيف نجيب ونحن لانعرف ماحدث أصلاً في فيتنام ولاندرى
شيئاً عن تفاصيل الهزيمة الأمريكية .

ألا يثير فضولنا - مجرد الفضول - أن نعرف كيف استطاعت فيتنام وهي
دولة فقيرة مصنفة من دول العالم الثالث مثلنا أن تهزم الجيوش الأمريكية وأن
تجعلها تتجرع من كأس الهزيمة المر لسنوات طوال ؟

والحقيقة أن هذا الأمر غريب ، والأغرب منه أن يظل هذه الملف مغلقاً في
هذا التوقيت الذى تعمسك فيه الجيوش الأمريكية فوق أراضينا تتلفت بحثاً عن
الفريسة التالية بعد العراق ونحن لا نجد ما نفعله إلا أن نضرب كفاً بكف قاتلين :
إنها أمريكا ببجوشها .. فمن ذا يقف أمامها !!

ألا يستحق الأمر أن نحاول اكتشاف كيف هُزمت أمريكا قبل ذلك لعنا
نستطيع أن نعيد هذه التجربة اليوم من جديد في العراق أو في غيره ؟

ولكن حتى لا نقسو على أنفسنا أكثر مما نحتمل فإن الباحث عن الحقيقة
باللغة العربية في هذا الزمن بائس مهزوم لا نصير له ولا سند ، فأمام عدد هائل
من الكتب والمراجع الأجنبية التى تناولت هذه الحرب الهامة الحساسة من
كل جوانبها وقتلتها بحثاً ودراسة ستكون محظوظاً لو عثرت على كتاب
واحد بالعربية.

ويكفى أن أقول أنني في محاولة منى للكشف عن تفاصيل مذبحة شهيرة
حدثت أثناء المعركة في قرية فيتنامية تسمى "ماى لاي " - سرد ذكرها خلال
المعركة - بحث عنها في صفحات الإنترنت بالعربية فلم يسفر البحث عن شيء ،

ولكنني عندما كتبت الأسم بالإنجليزية فوجئت بعشرات المواقع تتحدث عن القرية وعن تفاصيل المذبحة وعن الجمعيات التي تكونت باسمها و...و..

ومنذ منتصف الستينات وخلال السبعينات والثمانينات حركت هذه التجربة - تجربة كفاح الشعب الفيتنامي المقاتل - سؤالاً مثيراً عند عدد من الكتاب العرب فساءلوا : لماذا نجح أهل فيتنام في إخراج الجيوش الغازية من بلادهم ولم ينجح العرب بعد في أن يفعلوا مثل فعلتهم مع الصهاينة في فلسطين؟؟

وفي محاولة للوصول إلى إجابة لهذا السؤال الحائر قام بعض من الكتاب العرب بكتابة عدداً من الكتب بالعربية لتحليل أبعاد تجربة كفاح الشعب الفيتنامي ومقارنتها بكفاح العرب في فلسطين، أذكر منهم على سبيل المثال على فياض سفير فلسطين في فيتنام الذي كتب كتابين من زاويتين مختلفتين لتقييم التجربة الفيتنامية ، وكذلك المفكر السوري ياسين الحافظ . غير أنهما خاطبا أجيالاً تعرف أصلاً ماذا حدث في فيتنام ، لكننا اليوم نريد أن نعلم بداية ما الذي حدث في هذه الحرب العجيبة بين أكبر قوة في العالم ودولة فقيرة وصغيرة تبعد عن الأولى آلاف الأميال .

والحقيقة أن الذى بين يديك من صفحات هو عبارة عن تسلسل لكمية ضخمة من الأحداث بصورة مختصرة ومضغوطة إلى أقصى درجة غير أنها ستفتح أمامك المجال لتبحث عن الاستزادة إن شئت من أى موضع آخر بعد أن تكون قد ألممت بالخطوط العريضة الأولية والمعلومات الأساسية للموضوع إجمالاً ببساطة وبدون تعقيدات سياسية أو تفاصيل عسكرية .

فإذا أردت أن تعلم ببساطة متى كانت هذه المعركة ؟ ولماذا اشتعلت ؟ وكيف سارت أحداثها ؟ وكيف انتهت ؟.. فتابع هذه الصفحات القليلة التي ستجد في نهايتها مقارنة مبسطة بين التجربتين الفيتنامية والفلسطينية .

نسأل الله العليّ القدير أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا وأن يزدنا علماً ، وأن يجرى الخير على أيدينا وأن يتقبل منا صالح الأعمال .. آمين .

(هامش)

رؤساء الولايات المتحدة منذ الحرب العالمية الثانية :

فرانكلين روزفلت (١٩٣٣ - ١٩٤٥)

هارى ترومان (١٩٤٥ - ١٩٥٣)

دوايت ايزنهاور (١٩٥٣ - ١٩٦١)

جون كيدي (١٩٦١ - ١٩٦٣)

ليندون جونسون (١٩٦٣ - ١٩٦٨)

ريتشارد نيكسون (١٩٦٨ - ١٩٧٤)

جيرالد فورد (١٩٧٤ - ١٩٧٧)

جيمي كارتر (١٩٧٧ - ١٩٨١)

رونالد ريغان (١٩٨١ - ١٩٨٩)

جورج بوش (١٩٨٩ - ١٩٩٣)

بيل كلينتون (١٩٩٣ - ٢٠٠١)

جورج جورج بوش (٢٠٠١ -)

دولة فيتنام

تقع فيتنام في جنوب شرق آسيا ، على الساحل الشرقي لشبه جزيرة الهند الصينية ، وهي عبارة عن شريط ضيق يمتد مسافة ألف ميل على شكل حرف S .

دول الجوار :

ليس لفيتنام غير ثلاث دول جوار : الصين من الشمال ، ولاوس وكمبوديا من الغرب ، أما حدودها الشرقية فتطل بكاملها على ما يسمى ببحر الصين وهو جزء من المحيط الهادى .

وتشكل الدول الثلاث فيتنام ، ولاوس ، وكمبوديا معاً لساناً في المحيط الهادى يُطلق عليه اسم " شبه جزيرة الهند الصينية " .

العاصمة :

عاصمة فيتنام حالياً هي مدينة " هانوى " في شمال البلاد .

المساحة و عدد السكان :

مساحة فيتنام ٣٣٠ كم مربع (أى ما يزيد بقليل على ثلث مساحة جمهورية مصر العربية) ورغم صغر مساحة فيتنام إلا أن عدد سكانها يزيد على عدد سكان مصر ، ويقدر عدد الفيتناميين بحوالى ٨١ مليون نسمة (تقدير عام ٢٠٠١) .
وشعب فيتنام شعب فلاح يعيش أساساً على الزراعة وبخاصة زراعة الأرز ، وتحتل

فيتنام المرتبة الخامسة لإنتاج الأرز في العالم . وأغلب أهل فيتنام بوذيون مع وجود أقلية كاثوليكية بالإضافة إلى قلة من أتباع معتقدات أخرى غير مشهورة .

مقدمة تاريخية :

ظل الجزء الشمالى من فيتنام والذى يُطلق عليه اسم مقاطعة "تونكين" جزءاً من الصين لمدة ألف عام ، وعندما انفصلت هذه المقاطعة عن الصين توسعت جنوباً وضمت إليها مساحات جديدة وبذلك تكونت دولة فيتنام بمحدودها الحالية .

وبداية من القرن السادس عشر تعرضت البلاد لنشاط مكثف من البعثات التبشيرية من عدة دول أوروبية وبخاصة من فرنسا ، وقد صاحبت البعثات التبشيرية عدة محاولات لإقامة مراكز تجارية .

فيتنام والاحتلال الفرنسى :

وفي بداية القرن التاسع عشر أدت البعثة التبشيرية الفرنسية دوراً في مساندة حاكم فيتنام في ذلك الوقت مما جعل لفرنسا وضعاً متميزاً بحيث صار لها ممثلون دائمون في فيتنام .

غير أن هذا الأمر لم يستمر طويلاً ، نظراً لأن الطبقة الحاكمة الفيتنامية تنهت بعد فترة إلى أن نشاط البعثات التبشيرية الفرنسية المتزايد ما هو إلا مقدمة لدخول الاستعمار الفرنسى . لذا قام الفيتناميون بمقاومة هذه البعثات مقاومة شديدة وضيق على أفرادها الخناق ثم أجبرهم على تجميد نشاطهم .

وبناء على ذلك اقمت فرنسا السلطات الفيتنامية باضطهاد المسيحيين وهددت باتخاذ إجراءات تأديبية تجاه تلك السلطات إذا استمرت في عملية التضييق على البعثات التبشيرية الفرنسية .

وفي عام ١٨٥٧ وصل الأمر إلى منتهاه عندما أغارت السفن الفرنسية على شواطئ فيتنام لتحتل أول ميناء فيتنامي . ونظرا للمقاومة الشديدة التي لاقاها الجيش الفرنسي من المقاتل الفيتنامي العنيد ، فقد استغرقت الحروب سبعة وعشرين عاماً كاملة قبل أن تتمكن فرنسا من فرض سيطرتها على البلاد بكاملها . وفي عام ١٨٨٤ أصبحت فيتنام محمية فرنسية . كما نجحت فرنسا في ضم دولتي لاوس وكامبوديا المجاورين لفيتنام من جهة الغرب ، وبذلك نجحت فرنسا في تكوين ما يعرف باسم " اتحاد الهند الصينية الفرنسي " .

ومارس (آزار) فرنسا السلوك الاستعماري في فيتنام ؛ فحرصت على الإبقاء على الطبيعة الزراعية للبلاد لتظل مصدراً للمواد الخام لها وسوقاً للمنتجات الفرنسية ، كما عملت على تقسيم فيتنام إلى ثلاث مقاطعات منفصلة لا شيء إلا لتفتت قري البلد الواحدة ، كما ألحقت غرض الطرف عن دخول الأفيون والمسكرات إلى البلاد ..

وفي المقابل بدأت تظهر حركات للمقاومة الوطنية السلمية ضد الاستعمار الفرنسي وكانت أول الأمر قاصرة على طبقة المثقفين ، إلا أنهم لم يتمكنوا من تحقيق إنجاز واضح ونجح المحتل الفرنسي في إخماد حركتهم .

هوشي منه HoChi Minh :

بعد سنوات من المقاومة السلمية للشعب الفيتنامي لمح اسم زعيم فيتنامي ثائر ، هذا الزعيم أطلق على نفسه اسم "هوشي منه " " Ho Chi Minh " أو كما كان يحلو لأهل فيتنام أن ينادونه بالعم " هو " .

و يعتبر هذا الرجل من أشهر زعماء العالم الثالث خلال القرن العشرين ، وهو رغم شهرته الفائقة فالحقيقة أن أجيالنا لا يكاد اسمه يصل إلى مسامعها .

مطالب فيتنامية أمام مؤتمر فرساي :

وانتقل هوشى منه من فيتنام إلى فرنسا ، وقد شهدت الأخيرة في ذلك الوقت عقد مؤتمر شهير عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى هو "مؤتمر فرساي " المعروف باسم

" مؤتمر الصلح " . وكانت العبارات الرنانة عن الحرية والعدالة تتردد على ألسنة الزعماء والقادة في أوروبا وأمريكا مما أغرى هوشى منه بأن يقدم مطالب شعبه المقهور إلى أعضاء المؤتمر ..

" كان الفيتنامي الأول والأخير الذى وقف في باريس بشجاعة ليقدم مطالب بلاده وهو يواجه الاستعمار الجشع . وقد تقدم بتلك المطالب بالنيابة عن عدد من المواطنين الفيتناميين - إلى مؤتمر فرساي والجمعية الوطنية الفرنسية والمنظمات الديمقراطية التقدمية الفرنسية ، واستطاع أن ينشرها في صحيفة لو بيبيل (الشعب) وهى لسان الحزب الاشتراكي الفرنسي . "

(هوشى منه الزعيم الأسطوري - جورج عزيز)

وقد ظن هوشى منه أنه بذلك سيحقق نصراً ما دام القوم ينادون بالعدالة ، غير أنه لم يجد منهم أذاناً صاغية .

وفي فرنسا قضى هوشى منه حملة أعوام ، اشترك خلالها في الحزب الاشتراكي الفرنسي ، وأسس من خلاله رابطة أطلق عليها اسم " جماعة الفيتناميين الوطنيين المقيمين في باريس " .

وكان الفكر الشيوعي في ذلك الوقت يحظى بإعجاب أعداد غفيرة من مختلف الأجناس والفئات في العالم كله وسط الأمان الاشتراكية البراقة بالحياة الأفضل لجميع فئات المجتمع واختفاء الفقر وزوال الطبقة في ظل النظام الاشتراكي

الشيوعي باعتباره في تقديرهم اللجنة الموعودة والمهرب الوحيد من النموذج الرأسمالي الذي يزيد الأغنياء غنى ويزيد من فقر الفقراء .

وتطلع هوشى منه إلى النجاح الذى حققته الحركة الشيوعية في الصين وأراد أن يسير على خطاها ، فانتقل إلى الصين بحيث يكون قريباً من فيتنام .

نواة الحركة الشيوعية في فيتنام :

وفي عام ١٩٢٥ قام " هوشى منه " بتأسيس منظمة لتكون نواة الحركة الشيوعية في فيتنام عُرفت باسم " منظمة الشباب الثورى الفيتنامى " وقد قام بإدارتها من مدينة كانتون الصينية ، ونشطت المنظمة في جذب الأنصار إليها ..

" وقد عملت هذه المنظمة على تدريب الشباب الفيتنامى وإرسالهم إلى باقى أقاليم فيتنام لممارس (آزار)ة عملهم الثقافى والفكرى والتنظيمى بين صفوف الفلاحين والعمال .. "

(موجز تاريخ آسيا الحديث والمعاصر - د. ميلاد أ. المقرحى)

وقد ظلت المنظمة تدعو للمقاومة وحرب العصابات ضد المحتل تحت لواء الحركة الشيوعية مما مهد لقيام حزب شيوعى في فيتنامى . وفي عام ١٩٣٠ كانت المنظمة قد نجحت بالفعل في جذب أعداد كبيرة من المناصرين ، وتم تأسيس " الحزب الشيوعى " الذى انضوت تحت رايته مختلف الحركات الوطنية الفيتنامية .

فيتنام والجيش اليابانية :

ظلت فيتنام تابعة لفرنسا لما يقرب من خمسين عاماً متصلة حتى قيام الحرب العالمية الثانية خريف عام ١٩٣٩ عندما هاجمت اليابان أراضيها في منتصف عام ١٩٤٠ مستغلة هزيمة فرنسا في الحرب وسقوط باريس في يد الألمان . وتمكنت

الجيش اليابانية من احتياح فيتنام وما لبثت أن بسطت سيطرتها عليها وعلى باقى دول الهند الصينية (لاوس وكمبوديا) ، وقامت الجيوش اليابانية بإلقاء القبض على القادة الفرنسيين معلّنين إنهاء الاحتلال الفرنسى لفيتنام .

وبهذا تكون أرض فيتنام خلال هذه الفترة قد ضمت كل من القوات الفرنسية واليابانية فى صراع للفوز بها .

المقاومة الفيتنامية "فيت منه" :

كانت المقاومة الفيتنامية تحارب الجيوش الفرنسية ، وبدخول اليابانيين أصبح على تلك المقاومة أن يحرروا بلادهم من الفرنسيين واليابانيين معاً ، وفى عام ١٩٤١ استطاع الزعيم هوشى منه أن يوحد مختلف القوى الوطنية بتكوين رابطة للمقاومة عُرفت باسم "فيت منه" ومعناها عصبة استقلال فيتنام vietnam independence League .

وفى ديسمبر (كانون أول) عام ١٩٤٤ تمكنت قوات " الفيت منه " من تأسيس جيش خاص بها ولا سيما بعد حصولها على كمية كبيرة من الأسلحة التى أمدّها بها الحزب الشيوعى الصينى . وقد ظلت فيتنام لسنوات طويلة تحتفل فى ديسمبر (كانون أول) من كل عام بالعيد السنوى لتأسيس الجيش الفيتنامى . وبدخول القوات اليابانية إلى الأراضى الفيتنامية بدأ دور الولايات المتحدة يظهر فى فيتنام كما سنرى .

الحرب العالمية الثانية والتدخل الأمريكى فى فيتنام :

كانت الولايات المتحدة فى بداية القرن العشرين تتبع سياسة العزلة أو ما عُرف باسم " سياسة الحياد " ومعناها - كما هو واضح من اسمها - عدم التدخل

في ما يجرى خارج حدود أراضيها في مقابل ألا تتدخل أى دولة كذلك فيما يخص الشؤون الأمريكية . وهى السياسة التى عُرفت باسم " مبدأ منرو " نسبةً إلى الرئيس الأمريكى جيمس منرو - خامس رؤساء الولايات المتحدة - الذى أعلن في عام ١٨٢٣ أن الولايات المتحدة لا تتدخل في شئون الدول الأخرى كما أنه لا يحق لأى دولة أن تتدخل في شئون العالم الأمريكى ..

وقد ظلت الولايات المتحدة متمسكة بهذه السياسة حتى بعد أن قامت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) غير أنها اضطرت إلى التراجع عنها بعد أن تعرضت مصالحها الاقتصادية للضرب من قبل الألمان أثناء الحرب ، فقد بدأ الألمان في قصف الغواصات والسفن الأمريكية ، كما حاصروا الشواطئ الأوربية مانعين بذلك حركة الملاحة التجارية الأمريكية مما تسبب في خسارة اقتصادية ضخمة للولايات المتحدة .

وقد نتج عن ذلك أن تدخلت الجيوش الأمريكية في الحرب ، وتدخلها تغير مسار المعركة لصالح الحلفاء وانتهى الأمر بالهزيمة المرة للألمان وانتصار الحلفاء عليهم ، غير أنه بانتهاء الحرب العالمية الأولى عادت الولايات المتحدة لعزلتها مرة أخرى .

وفي مطلع سبتمبر (أيلول) ١٩٣٩ قامت الحرب العالمية الثانية ، وكانت الولايات المتحدة لا تزال على حيادها لكن سياسة الرئيس الأمريكى روزفلت وقتها كانت لا تتفق مع مبدأ منرو الذى يفرض الحياد التام .

" كانت سياسة الرئيس روزفلت تميل إلى أن على الولايات المتحدة أن تمارس (آزار) دوراً بوليسياً لحفظ النظام الدولى يستند على قوة عسكرية تستطيع أن توفر مستلزمات هذا الدور .. "

(مبادئ الرؤساء الأمريكيين - سليم الحسنى)

وفي مارس (آذار) ١٩٤١ أى بعد عام ونصف العام على بداية الحرب العالمية الثانية قدم الرئيس الأمريكى روزفلت للكونجرس مشروعاً بهدف الإفلات من القيود الباقية من تشريع الحياد يطلق عليه اسم " مشروع الإعارة والتأجير " وذلك لاستغلال ظروف الحرب الدائرة فى أوروبا من أجل تحقيق مزيد من المكاسب الاقتصادية للولايات المتحدة .

" وبعد نقاش مستطيل أقر الكونجرس المشروع وعقضى مواده بدأ يتدفق إلى بريطانيا وحلفائها سيل من الطائرات والدبابات والخامات والمواد الغذائية وغيرها .. وأعقب ذلك إجراءات غير حيادية أخرى كالاستيلاء على سفن المحور وتجميد أموال المحور ونقل ملكية ناقلات النفط لبريطانيا .. ثم الأمر الرئاسى الأمريكى بإطلاق النار على أية غواصات للعدو بمجرد رؤيتها .. "

(موجز تاريخ الولايات المتحدة - الآن نيفير ، هنرى ستيل كوماجر)

وبذلك صارت الولايات المتحدة رسمياً حليفاً ومسانداً لكل من إنجلترا وفرنسا ضد دول المحور (ألمانيا وإيطاليا واليابان) ، ولكن الموقف تطور سريعاً ففي ديسمبر (كانون أول) ١٩٤١ أعلنت الولايات المتحدة دخولها الحرب رسمياً إثر هجوم يابانى على قاعدة أمريكية شهيرة تسمى " بيرل هاربر " بعد أن تسبب الهجوم فى مقتل ثلاثة آلاف أمريكى وتحطم عدد كبير من الطائرات والسفن الأمريكية .

وغدت الولايات المتحدة طرفاً فى الحرب العالمية تتعامل مع الجيوش اليابانية معاملة العداء فى معركة طاحنة يهدف كل طرف إلى إبادة الطرف الآخر والقضاء عليه .

بداية الدور الأمريكي في فيتنام :

ورغم أن الولايات المتحدة لم تكن قد دخلت الحرب رسمياً بعد عندما دخلت الجيوش اليابانية إلى فيتنام ودول الهند الصينية غير أنها كانت تقف إلى جانب الحلفاء ولذلك فقد أجرت السلطات الأمريكية اتصالاتها لأول مرة بالقيادات الفيتنامية في هذه الفترة لتدعمها في حربها ضد القوات اليابانية ، كما قامت بالمشاركة بعد ذلك في عمليات إسقاط كميات كبيرة من الأسلحة من الجو ليلتقطها أهالي فيتنام .

وعندما انهزمت اليابان في الحرب كان لزاماً عليها أن تنسحب بجيوشها إلى داخل حدودها ، وفي أغسطس (آب) ١٩٤٥ وصلت إلى العاصمة الفيتنامية هانوى أول بعثة أمريكية للإشراف على انسحاب القوات اليابانية من فيتنام ومن سائر الدول التي احتلتها تلك القوات خلال الحرب .

وتقدمت قوات "فيت منه" لتفرض سيطرتها على أجزاء من الشمال الفيتنامي ، وسرعان ما قام هوشى منه بإعلان قيام "جمهورية فيتنام الديمقراطية" في المنطقة الشمالية التي تسيطر عليها الفيت منه ، وشكل حكومة مؤقتة تولى فيها رئاسة الوزراء ووزارة الخارجية وأعلن الاستقلال ، مما أجبر الإمبراطور الفيتنامي واسمه " باوداي" على التنازل عن العرش .

وكان هذا الإعلان في نهاية شهر أغسطس (آب) ١٩٤٥ بعد أيام من إلقاء الولايات المتحدة القنابل الذرية على مدن اليابان معلنة نهاية الحرب العالمية التي دامت ست سنوات .

وبسبب المساعدات التي شاركت الولايات المتحدة في تقديمها لفيتنام أثناء الحرب العالمية واستناداً إلى المبادئ التي أخذت تتردد على ألسنة القادة الأمريكيين كنشر السلام ، وحق الشعوب في الحرية، اعتبرت الحركة الفيتنامية الولايات المتحدة حليفاً لهم وطرفاً تسعى الحركة لكسبه إلى جانبها .

" أخذ هوشي منه يعمل على كسب تأييد الحلفاء لحكومته على اعتبار أنها الحكومة الشعبية ، وفي هذا الاتجاه أقيمت جمعية الصداقة الأمريكية الفيتنامية على أمل أن تفنى الحكومة الأمريكية بوعودها خلال الحرب بمساعدة الشعوب المستعمرة في تقرير مصيرها . . " (التجربة العسكرية الفيتنامية - على فياض)

غير أن الولايات المتحدة لم تستمر طويلاً في دعمها للشعب الفيتنامي ، حيث لم تعترف بداية بالدولة الجديدة التي كونها الفيت منه في الشمال وأكثر من ذلك سعت الولايات المتحدة جاهدة لعودة السيطرة الفرنسية على فيتنام . ذلك أن القادة الأمريكيين رأوا أن من المصلحة أن يعود الاحتلال الفرنسي لإحكام سيطرته على فيتنام وباقى دول الهند الصينية خوفاً من المد الشيوعي وهو ما يحتاج منا لشيء من التفصيل البسيط .

لماذا فيتنام ؟

تسبعت فيتنام عن الولايات المتحدة آلاف الأميال ولا تشكل خطراً عليها من أى نوع كما إنها لم تورط في أى شيء بمس الولايات المتحدة من قريب أو من بعيد وكذلك الحال بالنسبة لباقى دول الهند الصينية فلماذا هذا الاهتمام الأمريكي الشديد بفيتنام ؟ ولماذا تدخلت الولايات المتحدة في شئون فيتنام لتفرض عليها الاحتلال الفرنسي ثم ليصل الأمر بعد ذلك إلى إشعال فتيل حرب دامت لأكثر من عشرين عاماً ؟

الإجابة على هذا السؤال تلخص في كلمتين اثنتين : (نظرية الدومينو)

نظرية الدومينو :

" كان المسيطرون على السياسة الخارجية الأمريكية قد اعتنقوا نظرية الدومينو ، وهى النظرية القائلة بأنه إذا سقطت إحدى دول جنوب شرق آسيا فى أيدى الشيوعيين فإن كافة دول المنطقة حتى أقصاها أى إندونيسيا وماليزيا وحتى الهند كذلك ستهاوى كقطع الدومينو . وهذا ما اقتنع به الرؤساء الأربعة إثرهاور وكينيدى وجونسون ثم نيكسون .. "

(موجز تاريخ الولايات المتحدة - آلان نيفيتر .هنرى ستيل كوماجر)

وفى منطقة جنوب شرق آسيا كان رجال السلطة فى الولايات المتحدة يؤمنون إيماناً طاعياً بنظرية الدومينو ، وكانت فيتنام هى البوابة التى تصوروا أن سقوطها يعنى سقوط باقى الدول بصورة تلقائية .

ولذلك كان السبب الرئيسى وراء التدخل الأمريكى فى هذه الدولة الصغيرة هو منع الشيوعيين من السيطرة عليها وكذلك حماية باقى الدول المحيطة .

الولايات المتحدة والخوف من الشيوعية :

يقول جون فوستر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة فى خمسينات القرن العشرين فى كتابه حرب أو سلام :

" لقد بسطت الشيوعية السوفيتية فى الوقت الحاضر نفوذها على أكثر من سبعمائة مليون شخص ، ومعنى آخر على ثلث العنصر الإنسانى . حدث هذا خلال الأعوام الثلاثة والثلاثين الأخيرة ، ولم يسبق لأية دولة من قبل أن كسبت نفوذاً كهذا بمثل هذه السرعة . ومن شأن هذه الانتصارات أن تفقد أصحابها وعيهم وتحملهم على أن يتصرفوا بلا روية .. "

(حرب أو سلم - جون فوستر دالاس)

* توفى دالاس في مايو (أيار) ١٩٥٩

ويقول في موضع آخر :

"إن العدو الحقيقي لنا يتمثل في تلك الفئة المتعصبة من الحزب السوفييتي فهي وحدها مصدر القرارات التي تفرض الطاعة العمياء على سائر أعضاء الحزب في جميع أنحاء العالم .. "

(حرب أو سلم - جون فوستر دالاس)

والحقيقة أن الساسة الأمريكيين كانوا يراقبون في قلق مدى انتشار كتاب ستالين المسمى "القضايا اللينينية" problems of Leninism " الذي يعتبر دستور الشيوعية الذي تُرجم وقتها في فترة وجيزة - حسب ما قال وزير الخارجية الأمريكي دالاس وقتها - إلى حوالي ٣٥ لغة ، وتم توزيع حوالي ١٨ مليون نسخة منه تناولها أتباع الشيوعية على أنها القواعد التي يعيشون عليها في حياتهم ، كما كان المسئولون الأمريكيون ينظرون بذهول لانسياق الدول الشيوعية انسياقاً تاماً للاتحاد السوفيتي .

يقول الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون واصفاً الدول التي تنتمي إلى الشيوعية :

" عندما كانت موسكو تطلب إليهم أن يقفوا كانوا يسألون فقط إلى أي ارتفاع يجب عليهم القفز ! لقد كانت هذه البلاد واقعة تحت السيطرة العسكرية لحلف وارسو الذي تسيطر عليه موسكو والذي يميز وجود ٨٠٠ ألف جندي سوفيتي في أراضي أوروبا الشرقية .. "

(أمريكا والفرصة التاريخية - ريتشارد نيكسون)

ولذلك كان الخوف من الشيوعية هو الحافز الخفي وراء معظم قرارات الخارجية الأمريكية وكانت تصريحاتهم تُظهر ذلك بوضوح ..

" كان أهم ما يشغل صانعي القرار الأمريكي هو منع انتشار الفكر الشيوعي في العالم تحت شعار (الروس قادمون) .. "

(مبادئ الرؤساء الأمريكيين - سليم الحسني)

وكان هذا الفرع من الشيوعية عاملاً مشتركاً بين الأمريكيين وحلفائهم في أوروبا ، وكما صرح بذلك رجل له وزنه مثل رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل عندما قال :

"من المؤكد أن أوروبا كانت ستصبح شيوعية مثل تشيكوسلوفاكيا ، ولكانت لندن قد ضُربت لولا امتلاك الولايات المتحدة للقنبلة الذرية . "

(نقلاً من كتاب حرب أو سلم - جون فوستر دالاس)

وقد تعاقب على الحرب الفيتنامية كما سنرى أربعة رؤساء أمريكيين ساروا كلهم في طريق واحد يسير فيه الواحد منهم ثم يكمله خلفه وهكذا ؛ فالرئيس إيزنهاور وإن كان قد رفض مبدأ الحرب إلا أنه بدأ الصراع عندما أرسل المستشارين العسكريين إلى فيتنام لمساندة الجنوب الفيتنامي ، ثم تبعه كينيدي الذي صعد القتال ، ثم جونسون الذي بدأ المعركة بصورة رسمية التي دامت حوالي عشر سنوات أى طوال مدة حكمه هو وخلفه نيكسون .

السلاح الأمريكي يدخل إلى فيتنام :

عندما أعلن هوشى منه قيام " جمهورية فيتنام الديمقراطية " في الشمال الفيتنامي اعترفت الدول الشيوعية بقيادة الصين الشعبية والاتحاد السوفيتي بدولته الجديدة ، أما في الجنوب فقد ساندت فرنسا الإمبراطور الفيتنامي ليكون على

رأس حكومة فيتنامية موالية لها ، وبذلك قامت حكومتان على أرض فيتنام في وقت واحد .

أما الولايات المتحدة ففي الوقت الذي لم تعترف فيه بحكومة الشمال فإنها اعترفت بحكومة الإمبراطور في الجنوب بل قامت كذلك بمساندة فرنسا بكل قوة للوقوف أمام المقاومة الفيتنامية الضارية ، وفي يونيو (حزيران) ١٩٥٠ تسلمت القوات الفرنسية في فيتنام أول دفعة من السلاح الأمريكي على سبيل المساعدة من الولايات المتحدة .

" وفي السنتين التاليتين ١٩٥١-١٩٥٢ تدفقت المساعدات العسكرية الأمريكية من أسلحة وعتاد وأموال ، وفي عام ١٩٥٣ توالى البعثات الإدارية والاقتصادية إضافة إلى العسكرية ، وبدأت المشاركة الأمريكية للفرنسيين في التخطيط العسكرية الميدانية .. " (التجربة العسكرية الفيتنامية - على فياض)

" دعمت الولايات المتحدة المجهود الحربي الفرنسي بين عامي ١٩٥١ و عام ١٩٥٤ بمساعدات بلغ مجموعها ما قيمته ٩٤٠ بليون فرنك فرنسي مما غطى في حينه ٨٠ ٪ من المصاريف الحربية للقوة الفرنسية المستعمرة .. "

(معجم الحروب - د. فردريك معقوك)

" بدأت الولايات المتحدة مساعداتها العسكرية غير المباشرة لفرنسا في الهند الصينية في نهاية عام ١٩٥٠ . وفي سبتمبر (أيلول) عام ١٩٥١ وقعت الولايات المتحدة اتفاقاً يقضى ببذل المساعدة الاقتصادية المباشرة إلى فيتنام ، وفي أكتوبر (تشرين أول) ١٩٥٢ وصلت السفينة الأمريكية رقم ٢٠٠ التي تحمل المساعدات العسكرية إلى سايجون .. "

(غطرسة القوة - السيناتور وليام فولبرايت)

لقد كان السبب وراء كل هذا الدعم من الولايات المتحدة لفرنسا كما قلنا هو مساعدة فرنسا على الصمود أمام القوى الشيوعية التي تتمثل في قوات " الفيت منه " خوفاً من اجتياح المد الشيوعي لفيتنام وما حولها من الدول .

هزائم فرنسية :

واستمرت المقاومة الوطنية الفيتنامية - بعد أن صارت لها حكومة - في صراعها لمواجهة القوات الفرنسية التي اعترفت بالإمبراطور الفيتنامي المخلوع " باوداي " كحاكم رسمي للبلاد .

واشتعلت الحرب ضارية بين قوات الفيت منه والقوات الفرنسية ، وفي ديسمبر (كانون أول) ١٩٤٧ أنزلت القوات الفيتنامية التابعة للحكومة الفيتنامية الجديدة أول هزيمة بالقوات الفرنسية .

واستماتت المقاومة الفيتنامية أمام الجيوش الفرنسية المدعومة من الولايات المتحدة ، واشتهر رجال المقاومة بالبراعة في استعمال تكتيك عسكري معين يقومون فيه بتطويق مواقع الأعداء تطويقاً كاملاً لقطع الطريق على الإمدادات ثم الهجوم على الموقع المطوق لإبادته من فيه .

وبهذا التكتيك نجحت قوات المقاومة في تطويق القوات الفرنسية في قلعة تقع في سهل يُعرف باسم " ديان بيان فو " بقرب الحدود الفيتنامية مع لاوس شمال غرب فيتنام وكان ذلك في منتصف مارس (آذار) ١٩٥٤ وكانت القوات الفرنسية قد احتلت هذه القلعة وتحصنت بها ست كتائب فرنسية قبل عدة أشهر مضت .

مؤتمر جنيف وهزيمة " ديان بيان فو " :

سعيًا لحل المشكلة الفيتنامية دوليًا عُقد مؤتمر في جنيف لبحث الخلاف الدائر في فيتنام وقد بدأ المؤتمر في ٢٦ إبريل (نيسان) ١٩٥٤ وحضره مندوبون من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وفرنسا وإنجلترا والصين الشعبية بالإضافة إلى ممثلين عن فيتنام الشمالية والجنوبية .

وعندما بدأ المؤتمر كانت القوات الفرنسية لا تزال محاصرة في الشمال الفيتنامي ،

وفي أثناء انعقاد المؤتمر وتحديدًا في ٨ مايو (أيار) ١٩٥٤ استسلمت القوات الفرنسية لقوات الفيت منه بعد حصار دام ٥٤ يوماً خسرت فيه القوات الفرنسية حوالي ١٥٠٠ قتيلًا من جنودها بخلاف ٤ آلاف جريح .

وقد عُرفت هذه المعركة الفاصلة باسم " ديان بيان فو " Dien Bien phu نسبة إلى اسم السهل الذي وقعت فيه .

وبناء على هذه الهزيمة المنكرة تأكدت الحكومة الفرنسية من عجزها عن الصمود في فيتنام والبلدان المجاورة واضطرت لإعلان انسحابها وأعلنت استقلال كل من فيتنام ولاوس وكمبوديا في يونيو (حزيران) ١٩٥٤ .

ومن الغريب أن نعلم أن الجيوش الفرنسية التي خاضت هذه المعارك مع القوات الفيتنامية كانت تضم بين صفوفها أعداداً كبيرة من العرب من دول المغرب العربي ممن استعملتهم فرنسا ضمن جيوشها فيما عُرف باسم " الفرقة الأجنبية " حيث كانت بلاد المغرب العربي واقعة تحت الاحتلال الفرنسي في ذلك الوقت ، وقد سقط عددٌ غير قليل من الضحايا المغاربة خلال هذه الحروب وبخاصة في المعركة الأخيرة " ديان بيان فو " .

تقسيم فيتنام :

وبعد إعلان فرنسا خروجها من الهند الصينية استمرت المداوالات الطويلة في "مؤتمر جنيف" حول مصير فيتنام ، وانتهى المؤتمر إلى قرار بتقسيم فيتنام إلى قسمين .

وبعد جملة من المفارقات حول من يسيطر على كل قسم استقر الأمر على أن يترك الجزء الشمالى للحكومة الشيوعية ، أما الجنوب فقد ساندته الولايات المتحدة .

وقد تم الاتفاق على التقسيم بحيث يفصل خط العرض ١٧ البلدين عن بعضهما البعض على أن تجرى انتخابات عامة في فيتنام بكاملها للنظر في أمر إعادة توحيد المنطقتين في مدة أقصاها ستين مة أعطى صورة للتقسيم أنه أمر مؤقت .

وبذلك تحولت فيتنام الموحدة إلى دولتين اثنتين بموجب مؤتمر جنيف : إحداهما في الشمال وعاصمتها هانوى والأخرى في الجنوب وعاصمتها سيجون .

" والتجزئة واحدة من أساليب الاستعمار الجديد الذى يعمل على توهين القوى الحديثة عن الاستقلال عن طريق تفتيت أراضيها .. وفي فيتنام كان التقسيم أبشع وسيلة نفذت في هذا البلد الصغير لإخضاعه لظروف قاسية ببقية بعيداً عن إمكانات التطور والتقدم . والتجزئة تكاد أن تصبح سياسة عامة بعد الحرب العالمية الثانية ، فقد قسمت ألمانيا إلى شرقية وغربية وقسمت كوريا إلى شمالية وجنوبية وتقسيم وادى النيل إلى مصر والسودان .. "

(تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية - د.عبد العزيز سليمان نوار ،

د. محمود محمد جمال الدين)

الله موجود في الجنوب :

وبخلاف التقسيم إلى دولتين نصت قرارات مؤتمر جنيف على وقف إطلاق النار والسماح للسكان الراغبين في التنقل عبر خط ١٧ الفاصل بين البلدين بالانتقال على أن يكون ذلك خلال ٣٠٠ يوم من الاتفاقية .

وقد تكفلت الولايات المتحدة بعملية نقل مليون مواطن فيتنامي من المسيحيين الكاثوليك - نتاج العمليات التبشيرية لعشرات السنين في فيتنام - من الشمال التابع للشيوعيين إلى الجنوب ذى النظام الموالي للولايات المتحدة عبر خط ١٧ الفاصل ..

"بعد اتفاقيات جنيف رحل مسيحيو الشمال إلى الجنوب تحت شعار " الله موجود في الجنوب " وقد قامت الولايات المتحدة بتغطية نفقات تلك الحملة التي شملت مليون مواطن استغرقت ١٠٠ يوم واستخدمت فيها ١٩ طائرة و ٤١ سفينة وتكلفت ١١٢ مليون دولار .. "

(التجربة العسكرية الفيتنامية - على قياض)

وكذلك نص "مؤتمر جنيف " على بعض القواعد لمنع اشتعال الحرب في فيتنام كان منها تحريم إقامة قواعد عسكرية لأى دولة أجنبية أو الانضمام إلى أحلاف عسكرية وكذلك دخول أية قوات جديدة أو ذخائر أو معدات حربية إلى فيتنام .

ولكن الولايات المتحدة التي اعتبرت فيتنام الجنوبية بمثابة الحاجز الذي يصد الشيوعية ويمنع انتشارها في جنوب شرق آسيا لذا فقد امتنعت الولايات المتحدة عن التوقيع على قرارات المؤتمر وأقدمت على خرق كل هذه القواعد على الرغم من وضوحها واعتمادها في وثيقة دولية لها ثقلها . وكانت الخطوة الأمريكية

الأولى هي إقامة تحالف لدول جنوب شرق آسيا ووضع فيتنام الجنوبية تحت حمايته بما يخرق نصوص الاتفاقية بصورة صريحة ..

" قبل انتهاء عام ١٩٥٤ أقامت الولايات المتحدة منظمة معاهدة جنوب شرق آسيا (سياتو) وهو تحالف مناهض للشيوعية وضمت المعاهدة أستراليا وبريطانيا وفرنسا ونيوزلندا وباكستان والفلبين وتايلاند والولايات المتحدة الأمريكية .. "

(تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية - د. سليمان نوار)

الانقلاب الفيتنامي الموالي للولايات المتحدة في الجنوب :

كانت الدولة الفيتنامية في الجنوب يحكمها الإمبراطور الفيتنامي باوداي ، لكن الولايات المتحدة ساندت انقلاباً عسكرياً ضده قاده رئيس الوزراء في حكومة باوداي " نجو دم " الموالي للولايات المتحدة . فاستولى على الحكم وأعلن نفسه رئيساً لجمهورية فيتنام الجنوبية .

وعلى إثر قيام حكومة موالية لها أقدمت السلطات الأمريكية على تسليم فيتنام الجنوبية في العن .

" قدمت الولايات المتحدة إلى حكومة الرئيس دم من المساعدة العسكرية مبلغ ملياران و ٧٠٠ مليون دولار ، وأرسلت إلى فيتنام الجنوبية عدة مئات من الأطنان من الأسلحة والمواد الحربية وعدداً كبيراً من الطائرات .. ودربت واشنطن خلافاً لاتفاقات حنيف جيشاً كبيراً لحكومة دم .. "

(فيتنام الجنوبية تواجه العاصفة - محيي الدين فوزي ، إبراهيم عارف)

وساندت الولايات المتحدة نظام الحكم في الجنوب بكل قواها وكان من مصلحتها أن تبقى فيتنام الجنوبية قوية ومستقرة لتستطيع التصدى للفكر الشيوعي في الشمال ، وأن تختفي تماماً أى بوادر لأى حركة ثورية في البلاد .

ورغم مرور العامين المقررين لإجراء الانتخابات في الشمال والجنوب إلا إن حكومة الجنوب رفضت إجراء الانتخابات العامة خوفاً من فوز الحزب الشيوعي الذى تزايد عدد أنصاره ، واكتفت بعمل انتخابات في الجنوب فحسب ..

" قامت الولايات المتحدة ونظام دم في جنوب فيتنام في الرابع من شهر مارس (آذار) ١٩٥٦ بمخرق جديد لاتفاقية جنيف . تم في فيتنام الجنوبية تنظيم انتخابات انفصالية ، وأعربت حكومتا واشنطن وسايجون (عاصمة فيتنام الجنوبية) عن مخاوفهما من نتائج الانتخابات العامة ، وعرفا بشكل مسبق أن نظام سيجون سيفشل ويهزم في هذه الانتخابات .. "

(الأخوة كيندى - أ. جروميكو ، أ. كوكوشين)

جبهة التحرير الوطنية " الفيت كونج " :

كان السواجد الأمريكى في الجنوب بمثابة احتلال جديد للبلاد ، ولذلك تعالت أصوات الثائرين في الجنوب الفيتنامى الرافضين للاحتلال الأمريكى الذى حل محل الاحتلال الفرنسى وطالب الثائرون بتنفيذ بنود مؤتمر جنيف .

وأخذت المقاومة مظهراً سلمياً في البداية غير أن تردى الأحوال وتآزم الموقف دفعا المقاومة المسلحة للظهور .

وبالفعل تكونت فصائل من المحاربين لجبهة الاحتلال الأمريكى الجديد ، ومع بداية عام ١٩٦٠ استطاعت المقاومة الفيتنامية في الجنوب تحقيق انتصارات متتالية كما تمكنت من أن تبسط سلطانها على بعض المناطق الريفية .

ومسح لهاية العام عقدت قيادات الحركة الشعبية فى الجنوب مؤتمراً كان من نواتجه الإعلان عن قيام منظمة جديدة ضمت مختلف القوى والأحزاب الوطنية فى خطة عمل موحدة للمقاومة الشعبية ، وقد عرفت هذه المنظمة باسم جبهة التحرير الوطنية كما عرفت جيشها باسم " جيش التحرير " غير أنها اشتهرت باسم آخر هو " الفيت كونج " .

ولعل من الغريب أن بعض المصادر قد ذكرت أن الأمريكين كانوا يطلقون هذا الاسم على سبيل السباب لكل ثائر على النظام الموالي لهم فى الجنوب وأن معناها اللغوى هو " الفيتنامى القذر " ! وعلى الرغم مما يحمله الاسم من تحقير وسب فإنه التصق بالمنظمة الجديدة ونسى الناس معناه ، وعمور الوقت وكثرة تداوله صار الجميع يظنون أنه الاسم الرسمى للمنظمة .

وقادت جبهة التحرير الوطنية " الفيت كونج " حرب العصابات ضد الحكومة الموالية للاحتلال الأمريكى مما دفع الولايات المتحدة إلى التحرك لمواجهتها .

الرئيس كيندى يصعد الموقف :

وفى يناير (كانون ثانى) ١٩٦١ تسلّم الرئيس الأمريكى جون كيندى إدارة البيت الأبيض خلفاً للرئيس إيزنهاور ، وقد أمر بسرعة تشكيل لجنة خاصة بفيتنام لوضع التصورات لبرنامج الأعمال السرية الأمريكية بفيتنام كما بادر بإرسال نائبه ليندون جونسون^(٢) ممثلاً شخصياً عن الرئيس الأمريكى إلى دولة فى الهند الصينية يداها بفيتنام ليطلع الرئيس الفيتنامى على التصور الأمريكى للتصدي للعصابات الشيوعية .

(٢) صار جونسون رئيساً للولايات المتحدة بعد أن اغتيل كيندى فى ٢٢ نوفمبر (تشرين ثانى) عام ١٩٦٣ .

وفي ١٣ مايو (أيار) ١٩٦١ صدر بيان مشترك بين البلدين - فيتنام الجنوبية والولايات المتحدة -تضمن النقاط التي اتفق عليها الطرفان وعلى رأسها شرعية التدخل الأمريكي ..

" وهكذا حصل الأمريكيون على موافقة مباشرة من أعلى سلطة دستورية في فيتنام الجنوبية على تحويل أراضيها إلى حقل تجارب لتكتيكات الجيش الأمريكي في الحرب المضادة للعصابات أو حقل تجارب ميدانية على حد تعبير الجنرال هاركيتر المشرف على المساعدة العسكرية الأمريكية لفيتنام "

(التجربة العسكرية الفيتنامية - على فياض)

فيتنام .. قاعدة عسكرية أمريكية :

وفي مواجهة حرب العصابات الفيتنامية قامت السلطات الأمريكية بتعزيز قوات حكومة الجنوب الفيتنامي ، بالدعم المادى ، والتقنية التكنولوجية لتمكينها من التصدى للثوار ، وكانت الخطوة الأولى المتفق عليها هى زيادة عدد أفراد الجيش الفيتنامي وقوات البوليس في الجنوب .

ورغم أن عدد المستشارين العسكريين الأمريكيين بلغ في نهاية عام ١٩٦٠ ألفى شخص إلا إن هذا العدد لم يعد كافياً للقيام بالمهمة ، وبذلك تحولت فيتنام بصورة صريحة إلى قاعدة عسكرية أمريكية . وعلى ذلك فقد تم إرسال أعداد مضاعفة من المستشارين والخبراء والمدربين الأمريكيين ، بالإضافة إلى القوات التي طلبتها الولايات المتحدة من الدول الحليفة لها لتقديم العون لها ..

" وفي عام ١٩٦٢ كان عدد العسكريين الأمريكيين العاملين في فيتنام الجنوبية قد ارتفع من أربعة آلاف في أوله إلى ٨,٥ ألف في أواسطه إلى ١٢ ألف في نهايته حسب البيانات الأمريكية .. "

(التجربة العسكرية الفيتنامية - على فياض)

واجتذبت هذه الأحداث المتدفقة التي تجري على أرض فيتنام أعداداً كبيرة من الصحفيين الباحثين عن الخبر والمعلومة سعيًا وراء السبق الصحفي ، وكان من هؤلاء الصحفيين صحفي شاب - نيوزلندي المولد - يعمل كمراسل صحفي لوكالة الأسوشيتدبرس الأمريكية جاء بحثاً عن الجديد من أخبار هذه الحرب العجيبة التي تخوضها جيوش الولايات المتحدة في الخفاء على بعد آلاف الأميال من بلادهم .

هذا الصحفي اسمه بيتر أرنيث ، وقد وصفته كثيرٌ من المصادر الغربية بأنه أشهر مراسل عسكري في القرن العشرين على الإطلاق .

وقد وصل أرنيث إلى فيتنام في عام ١٩٦٢ ولم يكن في نيته أن يمكث بها طويلاً لكنه في الحقيقة بقي بها لأكثر من عشر سنوات حتى شهد بنفسه المشهد الأخير من المعركة .

(هامش) حصل أرنيث على جائزة "بوليتزر" لتغطيته الحرب الفيتنامية ، ومن الطريف أن نذكر أن أرنيث ارتبط بأهل فيتنام حتى إنه تزوج من فيتنامية . واستمر أرنيث من بعدها يتبع الجيوش الأمريكية في حروبها ، فكان من القلائل الذين قاموا بتغطية الضربة الأمريكية الأولى على العراق أوائل التسعينات ، ثم أخيراً حرب احتلال العراق عام ٢٠٠٣ .

يقول أرنيث في مذكراته :

" عندما ذهبت إلى فيتنام في عام ١٩٦٢ كانت أمريكا في ذلك الوقت تنفق ما يزيد على مليون دولار يومياً في محاولة لكسب حروبها هناك ، وكان التفاؤل يسود الأمريكيين الذين كانوا يحدّثون أنفسهم بأنهم سيكسبون الحرب في نهاية عام ١٩٦٤ لكن عندما تحدثت إلى بعض العسكريين المتخصصين في الشؤون

الاستراتيجية الذين كانوا في سايجون في ذلك الوقت وحدثهم مقتنعين بأن الحرب المكلفة التي تخوضها أمريكا في فيتنام قد تنقلب إلى حرب على نطاق أوسع بكثير مما هي عليه . "

(من مذكرات بيتر أرنيث)

ولكن الساسة في واشنطن لم يكونوا على وعى كامل بما يحدث في فيتنام ..
" ظن كينيدي أن إنهاء الحرب لصالحه يكمن في المزيد من القوات ، ووفق هذا التصور زاد حجم القوات الأمريكية في فيتنام فازدادت المشكلة تعقيداً لتصبح فيتنام بعد ذلك كابوس البيت الأبيض الثقيل .. "

(مبادئ الرؤساء الأمريكان - سليم الحسنى)

أما هذا العدد من المستشارين والعسكريين فقد كان منوطاً به أن يقوم بمهمة محددة وهي ما أطلقت عليه الولايات المتحدة اسم " الحرب الخاصة " The Special War ولتتعرف الآن على ملامح هذه الحرب الأمريكية الخاصة جداً .

العمليات العسكرية الأمريكية في الجنوب الفيتنامي :

هدفت العمليات العسكرية للقوات الأمريكية في الجنوب الفيتنامي إلى سحق المقاومة الفيتنامية وتصفية الجيوب الموالية لها وبخاصة في القرى الفيتنامية .

وكان وزير الدفاع الأمريكي يقوم بنفسه بمهمة الإشراف على هذه العمليات العسكرية التي أطلق عليها اسم عمليات التنظيف " Mopping up operation " .

وقد استخدمت الفرق الأمريكية لتنفيذ هذه العمليات الطائرات والآليات الحديثة والمتفجرات كما استخدمت كذلك الغازات السامة والكيماويات .

وكانت عمليات التنظيف تتم بحيث تقوم القوات الأمريكية بالتعاون مع قوات الحرس المدن الفيتنامي بمهاجمة القرى التي يُعرف عنها الولاء للمقاومة الشعبية فييهدمون البيوت و يجمعون القرويين تمهيداً لترحيلهم إلى ما يشبه معسكرات الحرب التي يطلق عليها اسم القرى الاستراتيجية Strategic Hamlets وكانت بريطانيا قد سبق لها أن استخدمت هذه الطريقة في ماليزيا ، وهى عبارة عن أماكن واسعة محاطة بالأسوار والأسلاك الشائكة يتم ترحيل القرويين إليها وتجميعهم فيها تحت السيطرة بعد ترويعهم وتخويفهم ، بحيث يصبح الخروج خارج الأسلاك هو قفزة في حد ذاته تستحق الإطلاق الفوري للنار من غير استفسار ولا تمهل .

وعلى مدى عام ١٩٦٢ تكررت هذه العملية بمنتهى القسوة والعنف في مئات القرى الفيتنامية بخلاف العمليات العسكرية الأخرى ، وربما كانت أرقام الضحايا هي أكثر ما يدل على حجم هذه العمليات ووحشيتها ..

" العمليات الكثيفة والمتلاحقة التي تعرضت لها المناطق المحررة وشبه المحررة في الجمنوب أدت إلى خسائر فادحة بشرية واقتصادية ومادية بين السكان وكانت أقرب إلى حملات التنصيف العقاب الجماعى ، بحيث خلفت وراءها حوالى ٨٠ ألف قتيل و٢٣ ألف جريح ، ٢٧٥ ألف معتقل وموقوف موزعين على ٨٧٤ معتقل ومركز احتجاز .. إلا إن القيادة الأمريكية لم تعترف سوى بمقتل ثلاثين ألف فيتنامي حتى نهاية عام ١٩٦٢ | "

(التجربة العسكرية الفيتنامية - على فياض)

ولم تكتف الولايات المتحدة بإرسال المحاربين إلى فيتنام ولكنها أرسلت كذلك ذوى الخبرات الخاصة ، ففي معسكرات خاصة تلقت مجموعات من الجنود تدريبات من نوع خاص للقيام بمهام غير معتادة تتناسب مع المعركة ..

" تلقى مئات الجنود تدريبات خاصة على الحرب التخريبية ، وتعلموا كيفية الاندماج بالسكان وصولاً إلى تغيير آرائهم واثارتهم ضد العدو .. وقام كيندى بزيارتهم وقلدهم بنفسه " القبة الخضراء " التى دخلت التاريخ منذ ذلك الحين . "

(تاريخ العالم المعاصر - بيار ميكال)

" وأصدر كيندى أوامره السرية بإرسال خمسمائة رجل من ذوى الباربيات الخضراء إلى فيتنام ، وهم مجموعة من المقاتلين ذوى الكفاءة العالية المدربين على سحق الثورات . "

(موجز تاريخ الولايات المتحدة - آلان نيفير . هنرى ستيل كوماجر)

أما أرنيث الذى أتحت له فرصة قضاء عدة أيام برفقة وحدة من كتيبة ذوى الباربيات الخضراء فيقول عنها :

" بدأت أعمالها القتالية ذات الطبيعة الخاصة والسرية تحت إشراف وكالة الاستخبارات الأمريكية سى آى إيه ، وكانت مستقلة بشكل عام لا تتبع أى سلطات عسكرية أو مدنية .. كانت كتيبة ذوى الباربيات الخضراء مصدر زهو لإدارة الرئيس الأمريكى كيندى الذى قام بدعمها بالمال لقيامها بعمليات قتالية باستخدام الطائرات المحورية فى الإنزال بالمظلات ، وبعض العمليات العسكرية الأخرى غير التقليدية .. "

(مذكرات بيتر أرنيث)

أما فيما يخص المساعدات الخارجية فقد استجابت كل من بريطانيا وتايوان والفلبين كما أوفدت استراليا ونيوزلندا يعد ذلك عدداً من المستشارين العسكريين ..

وكانت الولايات المتحدة في ذلك الوقت تعتبر أن إحراز أى نصر في فيتنام في حد ذاته هو هدف للقيادة الأمريكية ..

" وقال الرئيس كينيدي بعد لقائه بالرئيس خروتشوف في جنيف ١٩٦١ لأحد الصحفيين المقررين إليه وهو جيمس ريسون أنه يرغب في عرض عضلات أمريكا القوية في فيتنام . وأيد الجهاز الحكومي فكرة الرئيس ، وقام عضو مجلس الأمن القومي روبرت كومي بتحضير خطة لتوسيع نطاق التدخل الأمريكي في فيتنام . وقال هذا المسئول : إنه من المهم بالنسبة للإدارة الأمريكية الجديدة إحراز نصر ساحق على الشيوعية في فيتنام .. "

(الأخوة كينيدي - أ. جروميكو ، أ. كوكوشين)

وفي المقابل تصدت قوات جيش التحرير الجنوبي - الفيت كونج - لهذه الهجمة الشرسة بكل ما تملك من قوة .

" لجأ العسكريون الفيتناميون في هذه المرحلة الدفاعية إلى تكتيكات مختلفة منها الإكثار من الكمائن المتعددة الأحجام على السواحل ومفارق الطرق والممرات الإجبارية ، والاعتماد بشكل كبير على الفخاخ والمصائد والخوازيق البامبو والألغام عندما تتوفر .. "

(التجربة العسكرية الفيتنامية - على فياض)

وكانت سياسة جيش التحرير - الفيت كونج - في القتال تعتمد أول الأمر على الكر والفر ، فكانوا يشنون الهجوم المباغت ثم يرتدون سريعاً إلى مواقعهم .

عملية " آب باك " :

وفي يناير (كانون ثان) ١٩٦٣ قامت القوات الفيتنامية التابعة للجيش بصحبة الضباط المستشارين الأمريكيين بهجوم على موقع من مواقع جيش التحرير

يسمى " آب باك " للاستيلاء عليه واشترك في القتال ١٥ طائرة غير أن المحوم أسفر عن كارثة موجهة عندما قتل أفراد كتيبة جيش التحرير ثلاثة من الأمريكيين وأوقعوا بمائة من أفراد القوة الفيتنامية التابعة للجيش كما أصابوا ١٤ طائرة أمريكية ، أى أن طائرة واحدة هى التى نجت من المعركة ! وكانت صفقة شديدة أصابت القادة الأمريكيين فى مقتل .

وقد شهد المراسل أرنيث أن الجنرلات الأمريكيين أعترفوا بأن قوات جيش التحرير نجحوا فى تسجيل أول صمود لهم على أرض المعركة وردوا بالمثل على النيران المصوبة إليهم . وقد عُرفت هذه العملية باسم " آب باك " .

ونشطت حركة المقاومة ، وزاد عدد المناصرين لها ، وكان من العوامل التى ساعدت على نمو حركة الفيت كونج أن الجنوب الفيتنامى تعرض لفترة من الاضطراب مما شغل الحكومة عن ملاحقتهم .

الاضطرابات الداخلية فى فيتنام الجنوبية :

كانت الولايات المتحدة تقدم لحكومة الجنوب الفيتنامى كل ما يمكنها من صور الدعم لتضمن لها الاستمرار والاستقرار غير أن الحكومة الفيتنامية على الرغم من ذلك كله لم تتمكن من تحقيق الاستقرار الداخلى للبلاد ؛ فقد كان الحاكم دم مسيطراً على الدولة بصورة متعسفة ، وكان يشغل منصب رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء وقائد الجيش غفى آن واحد ، أما الوظائف الكبرى فقد قصرها على أهله والمقرين منه .

ومما زاد الأمور سوءاً أنه كان يعتقد هو وأسرته المسيحية الكاثوليكية على خلاف أغلبية الجنوب الفيتنامى الذين يتبعون البوذية (٧٠% بوذيين مقابل ١٠% كاثوليك) ، وقد قام باضطهاد الأغلبية البوذية ومنعهم من ممارسة طقوسهم أو الاحتفال بأعيادهم وأغلق معابدهم كما أعتقل كل من اعترض منهم .

وفي ظل استخدام القمع مع البوذيين بدأ الرهبان البوذيون في ممارسة (آزار) نوع غريب من الضغط على الرأي العام العالمي ، فقد قام عددٌ منهم - وكان منهم راهبة - بإحراق أنفسهم أحياءً في الميادين الكبرى أمام جموع الناس وكاميرات الصحفيين احتجاجاً على منعهم من ممارسة الشعائر البوذية .

وعلى الرغم من أن هذه الطريقة لم تفلح في وقف أعمال القمع التي تمارسها الحكومة ضد البوذيين بل أججتها إلا إنها أشعلت مظاهرات الاحتجاج في الشوارع كما نجحت في جذب أنظار العالم إلى ما يحدث في فيتنام الجنوبية مما أدى في النهاية إلى استنكار دولي واسع المدى .

الانقلاب الفيتنامي الثاني في الجنوب :

وفي أول نوفمبر (تشرين ثان) ١٩٦٣ حدث الانقلاب الثاني في الجنوب على الرئيس الفيتنامي " دم " وأبدت السلطات الأمريكية الانقلاب الجديد ، وقررت دعم الحكومة الجديدة في الوقت الذي أقمته أكثر من جهة بتدبير الانقلاب في الخفاء ، فقد وصل التوتر بين الولايات المتحدة وحكومة دم إلى متناه ، وكانت جميع التصريحات الأمريكية قبيل هذا الانقلاب تنتقد النظام الفيتنامي وتهدد حكومة الرئيس دم بتخفيض حجم المساعدات الأمريكية لسايجون لدرجة أن إدارة الرئيس الأمريكي كينيدي أعلنت عن البدء بسحب الألف الأولى من المستشارين الأمريكيين كمقدمة لانسحاب كلي للمدد الأمريكي .

" يصعب استبعاد وجود أمريكية خلف هذا الانقلاب وبخاصة بعد أن أوردت وكالات الأنباء خبر زيارة خاطفة قام بها صباح يوم الانقلاب القائد العام للقوات الأمريكية في المحيط الهادى لدم .. "

(فيتنام الجنوبية تواجه العاصفة - مجي الدين فوزي ، إبراهيم عارف)

أما هذا الانقلاب فقد كان بمثابة المقدمة ، ثم توالى بعده الانقلابات في الجنوب الفيتنامي بعد ذلك حتى بلغ عددها سبعة انقلابات حتى منتصف عام ١٩٦٥ .

وقبل أن ينتهى شهر نوفمبر (تشرين ثان) اغتيل الرئيس الأمريكى كينيدي ، وتولى نائبه ليندون جونسون رئاسة الدولة خلفاً له .

الرئيس جونسون والبداية الرسمية للمعركة :

كانت القوات الأمريكية قد أعلنت الحرب بالفعل في الجنوب الفيتنامي في فترة رئاسة كينيدي رغم محاولتهم إخفاء هذه الحقيقة . وكما يقول المراسل الصحفى بيتر أرنت :

" وبالرغم من أن المسؤولين السياسيين الأمريكيين في عام ١٩٦٢ كانوا قد اتفقوا على صحة قرار الدخول في حرب فيتنام إلا أننا في تغطيتنا الإخبارية للحرب كان علينا أن نتفهم أن إدارة الرئيس الأمريكى كينيدي بدأت الحرب في فيتنام الجنوبية دون الإعلان عن ذلك في محاولة من الحكومة الأمريكية لإخفاء التصعيد في عدد القوات والمعدات التى تسافر إلى الحرب وللتصويه على الأعباء الثقيلة المتزايدة التى كان على الولايات المتحدة أن تحملها على عاتقها من أجل أن يكون أداؤها على الوجه الأكمل .. " (مذكرات بيتر أرنت)

وبينما كان حجم الجيوش الأمريكية يتضخم في الجنوب الفيتنامي يوماً بعد يوم فقد كان للولايات المتحدة أكثر من مدمرة في المحيط الهادى تطوق الشواطئ الفيتنامية شمالاً وجنوباً ، وطائراتها تحوم في سماء فيتنام في حالة من التأهب كأنما تبحث عن مبرر - كاف أو غير كاف - لتتقضى على فيتنام الشمالية الموالية للشيوعية ، وسرعان ما اشتعل الفتيل بالفعل ..

فقد دخلت مدمرة أمريكية إلى المياه الإقليمية لفيتنام الشمالية في تخرش واضح بالقوات الفيتنامية التي أطلقت بدورها على المدمرة طوربيداً فيما عُرف بعد ذلك باسم "حادثة تونكين" وذلك لأنها وقعت في الخليج المعروف باسم "خليج تونكين".

وكانت هذه هي البداية الرسمية للمعركة في فيتنام والتي ظن جنرالات البتاجون أنهم سيحسمونها في عدة أسابيع أو قد تمتد إلى بضعة أشهر على الأكثر غير أنها في الحقيقة استمرت لسنوات طوال .

معركة الجيوش الأمريكية فى فيتنام

كانت حادثة تونكين ٤ أغسطس (آب) عام ١٩٦٤ هى البداية الحقيقية للمعركة ، وبعدها بدأ القصف الجوى والغزو البرى والمجوم البحرى و...و..

وفى أعقاب حادثة تونكين حصل الرئيس الأمريكى على قرار من الكونجرس بتفويضه فى الرد على أية أخطار تتعرض لها البواخر الأمريكية فى المنطقة الآسيوية باعتبار أنها حالة من الطوارئ تستدعى السرعة فى التصرف . وكما يقول السيناتور الأمريكى وليام فولبرايت :

" لقد كان قرار السابع من أغسطس (آب) عام ١٩٦٤ بمثابة شيك على يياض وقعه الكونجرس فى جو من العجلة والأهمية القصوى حال دون المناقشة فى ذلك الوقت . ومنذ إصداره حولت حكومة جونسون الصراع الفيتنامى من حرب أهلية اشترك فيها بعض المستشارين الأمريكين إلى حرب عالمية كبيرة قوامها المقاتلة الأساسية هى الجيش الأمريكى بمئات الآلاف من جنوده . وكلما قدم أعضاء الشيوخ الأسئلة للحكومة حول التصعيد المتتابع للحرب لوحث فى وجوهنا بالشيك الموقع على يياض فى ٧ أغسطس (آب) ١٩٦٤ كدليل على التأييد المطلق من جانب الكونجرس .."

(غطرسة القوة - السيناتور وليام فولبرايت)

معركة لم تعلن رسمياً :

لأننا لا نعيش في الغابة ولا تحكمنا شرائعها فمن الطبيعي أن أى دولة تخرج جيوشها من حدود بلادها وتقتحم حدود دولة أخرى تصول فيها وتجول ، وتضع خططاً حربية وتقصف أهدافاً وتشن حروباً و ..و.. فإنه ينحتم عليها قبل أن تفعل كل هذا أن تعلن الحرب على هذه الدولة بصورة رسمية على أن ترفق بهذا الإعلان أسباب معلنة أمام العالم حتى ولو كانت هذه الأسباب "غير وجيهة " في نظر البعض أو حتى في نظر الجميع .

لكن الحقيقة أن الولايات المتحدة رغم قصفها لفيتنام الشمالية عقب وقعة خليج تونكين فإنها لم تعلن الحرب رسمياً عليها واكتفى الرئيس الأمريكى جونسون بالموافقة التى حصل عليها من الكونجرس بشأن اتخاذ الإجراءات التى تراها الحكومة ضرورية للرد على أى عدوان على بواخرها ، وكان مما تردد بعد ذلك ونشرته الصحف أن الرئيس الأمريكى لم يشأ أن يعلن الحرب بصورة صريحة لأنه كان يخشى أن يودى ذلك إلى رد فعل قوى سواء من الاتحاد السوفيتى أو من الصين أو من كلاهما معاً .

وبناء على هذه الموافقة السابقة من الكونجرس صدر الأمر في اليوم التالى بقصف شواطئ فيتنام الشمالية من غير إعلان رسمى للمعركة أمام العالم ، لكن الأمر لم يقتصر على القصف الجوى للشواطئ فحسب .

" وبعد ثلاثة أشهر ونصف بدأت طائرات ب ٥٢ العملاقة تغير على عمق البلاد ، على عاصمة جمهورية الشمال (هانوى) وعلى مدنها الرئيسية .. "

(معجم الحروب - د. فردريك معقوك)

وقام الرئيس الأمريكى جونسون باستبدال القائد العام فى فيتنام وعين مكانه الجنرال

"وليم ويستمورلاند" قائداً للمعركة ، وكان هذا الجنرال قد بزغ نجمه أثناء الحرب العالمية الثانية كقائد لفرقة المظليين ، وفى تقييم لهذا الاختيار اعترى البعض أن الولايات المتحدة أرسلت إلى فيتنام أفضل محارب لديها .

رد الفعل الشيوعى :

كان الرئيس الأمريكى يحنى إن هو أعلن الحرب رسمياً على فيتنام الشمالية أن يعلن الإتحاد السوفيتى أو الصين الحرب على الولايات المتحدة ، ولكنه وإن لم يعلن الحرب رسمياً فقد أعتدى بالفعل على دولة شيوعية ، ورداً على هذا العدوان تعالت أصوات كل منهما لمناصرة فيتنام الشمالية ..

"أدى العدوان الأمريكى الأخير ضد فيتنام إلى تأزم الوضع الدولى . فقد أشار رئيس مجلس الوزراء السوفيتى إلى أن الإتحاد السوفيتى سيقدم إلى حكومة هانوى المساعدات اللازمة فى حال تعرض جمهورية فيتنام الديمقراطية إلى اعتداءات أمريكية جديدة ، وأعلنت حكومة الصين الشعبية بعد عدة أيام من هذا التصريح عن تأييدها الكامل لحكومة هانوى ضد العدوان الأمريكى .."

(الأخوة كيندى - أ . جروميكو ، أ . كوكوشين)

وسرى بعد ذلك أن كلا منهما قد نفذ تهديده وأصر عليه حتى النهاية .

الجيش الأمريكى تفتح نيرانها على الشمال الفيتامى :

"وفى فبراير (شباط) ١٩٦٥ أمر الرئيس الأمريكى جونسون بالقصف الجوى المتواصل لفيتنام الشمالية ، ومع منتصف ١٩٦٦ وصل عدد الغارات الجوية إلى مائة غارة يومياً خلفت دماراً مادياً وبشرياً رهيباً ، كما ارتفع عدد

القوات الأمريكية في البر الفيتنامي إلى حوالي ٢٣ ألف جندي إلا إن هذه القوات لم تتمكن من الصمود أمام هجمات الفيت كونج المدعومة بقوات فيتنام الشمالية . "

(موجز تاريخ آسيا الحديث والمعاصر - د. ميلاد أ. المقرحي)

" وبعد أن صرح الرئيس بقوله : إننا لا نسعى لتوسيع دائرة الحرب إذا بالغارات الجوية المجنونة تتواصل على مدى ثلاثة أعوام متتالية . وأصبح العديد من المناطق السكنية الضخمة في فيتنام الجنوبية مناطق مستباحة من حق الطيران الأمريكي أن يقصف فيها أى شيء " يتحرك " .. وقد صرح أحد مساعدي وزير الدفاع الأمريكي بقوله : كنا نواصل القصف ملتزمين بشعار أنه لكي نقضي على قوات الفيت كونج فإنه يلزم دك كل القوى وسحق كل الغابات ، ثم يسوى بعد ذلك سطح أرض فيتنام كلها بالأسفلت . "

(موجز تاريخ الولايات المتحدة - آلان نيفير . هنري ستيل كوماجر)

" استخدمت الطائرات الأمريكية الأسلحة الجراثومية وكذلك النابالم وبلغت طلعات الطائرات الأمريكية ٣٦٠٠ فوق أراضي فيتنام الشمالية بشهر إبريل (نيسان) ١٩٦٥ .. إلى ٤٨٠٠ طلعة بشهر يونيو (حزيران) .. "

(الصراع على العالم - جان النشائين)

وكانت المقاومة الفيتنامية التي تزودت بالسلح السوفيتي والعتاد الصيني تقاتل في صلابة وتردد الصاع صاعين للقوات الأمريكية ..

" الشهور الأولى من عام ١٩٦٥ شهدت تصعيداً ناجحاً في عمليات الشوار حيث بلغت نشاطاتكم العسكرية حوالي أربعة آلاف وثلاثمائة اشتباك

وهجوم .. وكما جاء في بيان القيادة العسكرية للجبهة فإن ١١١ طائرة دمرت أو أسقطت . "

(التجربة العسكرية الفيتنامية - على فياض)

كما نجح الثوار في مهاجمة عدد كبير من القرى الاستراتيجية التي احتجز فيها الأمريكيان القرويين الفيتناميين وقاموا بتدميرها ..

السعي الأمريكي للمفاوضات :

ومع توالى انتصارات الثوار وزيادة عدد الضحايا الأمريكيان بصورة مستمرة تزايد الجدل في الولايات المتحدة حول جدوى الاستمرار في المعركة مما دفع الرئيس الأمريكي جونسون إلى وقف القصف الجوي لفيتنام الشمالية في ديسمبر (كانون أول) ١٩٦٥ - أى بعد عام ونصف تقريباً من بداية المعركة - في محاولة لإجراء مفاوضات غير أن حكومة فيتنام الشمالية وجبهة التحرير الوطنية (الفيت كونج) لم يرحبا بالمبادرة لعدم جدوى المفاوضات إلا بشروط أربعة :

" استقلال ووحدة فيتنام و انسحاب القوات الأمريكية ، امتناع فيتنام الشمالية والجنوبية عن المشاركة في حلف عسكري مع بلد أجنبي ، تسوية شئون فيتنام الجنوبية بواسطة شعب هذا البلد ، إعادة توحيد فيتنام بواسطة طرق سلمية من قبل شعب المنطقتين دون تدخل أجنبي .. "

(التاريخ الدبلوماسي - ج. ب. دروزيل)

وقد كانت هذه الشروط الأربعة بمثابة رفض للدخول في مفاوضات عقيمة ، وفي نفس الوقت شددت قوات الفيت كونج من هجماتها على الجنوب ، كما قامت فرق الكوماندوس الفيتنامية بتدمير الطائرات الأمريكية القابعة في قواعدھا بالقنابل اليدوية

فما كان من الولايات المتحدة إلا أن عاودت القصف من جديد بعد أقل من شهرين فقط على وقف القصف وبصورة أشد ضراوة من ذي قبل .

"وعادت أخبار القصف المدفعي تقدر عبر موجات الإذاعة في العالم اعتباراً من ٣١ يناير (كانون ثاني) ١٩٦٦ ارتفعت حدة الاحتجاجات ، وأبدى نصف أعضاء مجلس الشيوخ استياءهم من استمرار الحرب ، واقترح روبرت كينيدي شقيق الرئيس السابق التفاوض مع الشيوعيين ، وتزايدت عمليات رفض الخدمة العسكرية والفرار من الجندية في أوساط الطلاب الذين كانوا يلجأون إلى كندا والسويد .. "

(تاريخ العالم الحديث - بيار ميكال)

وأعلن الرئيس الأمريكي عن عدد من الامتيازات للجنود والضباط المشاركين في المعركة غير أن المشكلة كانت أكبر من أن تحلها مثل هذه الامتيازات ، وكان من أكثر التعليقات طرافة ما قاله جندي أمريكي شاب برتبة عريف رداً على هذه الامتيازات المغربية : " كل ما أتمناه أن أعيش حتى يمكنني إنفاق ما سادخره من نقود ! "

(نقلاً عن مذكرات بيتر أرنيث)

ولم يكن الاحتجاج الأمريكي مقصوداً على الجنود فحسب ، وإنما كان الخلاف محتدماً داخل الإدارة الأمريكية ذاتها ، فقد دفعت هذه السياسة مساعد الرئيس الأمريكي - إيريك جولد مان - إلى تقديم استقالته في يونيو (حزيران) ١٩٦٦ احتجاجاً على الحرب الأمريكية في فيتنام ، ولم تكن استقالته هي الوحيدة خلال سنوات الحرب فقد استقال كذلك أكثر من واحد من رجال السلطة الأمريكية إما احتجاجاً على نزيف الأموال والدماء الأمريكية بلاطائل في أرض بعيدة عن وطنهم وإما للشعور بالفشل في معركة لا نهاية لها . .

وعلى الرغم من كل هذه الاحتجاجات فقد ألقت القوات الأمريكية بثقلها كله على فيتنام خلال عام ١٩٦٧ رغبة في تحقيق النصر ..

" قام الأسطول الجوي بحوالى ٦٠ ألف طلعة جوية خلال عام ١٩٦٧ فقط ألقى خلالها مليون و ٤٤ ألف طن من القنابل .. "

(الصراع على العالم - جان النشتاين)

لكن النصر الأمريكى المرتقب لم يأت رغم كل شيء ؛ وفى المقابل كثف رجال المقاومة الفيتنامية عملياتهم حتى صارت هجماتهم شبه يومية على المعسكرات الأمريكية والمطارات والقواعد العسكرية ، وكبدت هجماتهم القوات الأمريكية خسائر كبيرة سواء فى الأرواح أو فى المعدات الحربية كما أربكت خططهم مما دفع وزير الدفاع الأمريكى - روبرت ماكنمارا - إلى تقديم استقالته هو الآخر من منصبه فى نوفمبر (تشرين ثان) ١٩٦٧ .

محمد على كلاى :

وفى يونيو (حزيران) ١٩٦٧ حدثت وقعة اهتزت لها الأوساط الرياضية ، فقد تم اعتقال بطل العالم الأمريكى للملاكمة محمد على كلاى (كان اسمه قبل سنوات من هذه الوقعة كاسيوس كلاى ثم أسلم وأطلق على نفسه اسم محمد على) وكان عمره وقتها ٢٥ عاماً ، وذلك بسبب رفضه الالتحاق بالخدمة العسكرية ضمن القوات الأمريكية فى فيتنام احتجاجاً على هذه المعركة غير العادلة .

وأصدرت محكمة تكساس الأمريكية حكماً عليه بالسجن لمدة خمس سنوات كما قررت هيئة الملاكمة بنيويورك شطبه وتجريده من لقب بطل العالم الذى كان قد فاز به قبل ثلاث سنوات ، غير أن محكمة الاستئناف ألغت الحكم فيما بعد ، وإن ظل موقوفاً عن اللعب حتى عام ١٩٧٠ .

البحيم الفيتامى :

وسع مطلع عام ١٩٦٨ لم يعد يمر يوماً من غير هجمة للقوات الفيتامية ، ففى اليوم الأول من العام أسقطت المدفعية الفيتامية قاذفة قنابل أمريكية وبعد ثلاثة أيام قصفوا بالصواريخ قاعدة عسكرية أمريكية ضخمة فأصابوا ثمان طائرات ، وتوالت أخبار إسقاط الطائرات وتدمير الدبابات وتفجير المعسكرات الأمريكية ..

وتحولت المعركة فى عين الجندى الأمريكى إلى صورة من صور البحيم الذى لا مهرب منه ولا مفر ؛ فهم إن بقوا فى مواقعهم هاجهم الفيتاميون ، وإن تقدموا اعترضتهم الأحراش والغابات التى تغطى مساحات شاسعة من البلاد ، فإن حاولوا المرور خلالها فالموت يترصد لهم من كل جانب . وكان الفيتاميون يقومون بإخفاء الشفرات الحادة وسط الكمائن المغطاة بأوراق الشجر لتذبح من يسقط فى حبالها من الجنود الأمريكان . وبخلاف الكمائن المتناثرة بين أنحاء الغابات كانت الألغام تنفجر تحت أقدامهم ، والحجم تنساقط عليهم من فوق الأشجار وتنهمر عليهم القذائف لا يدرون من أى موضع تأتى ، إلى أن بطورقهم الفيتاميون من كل جانب ثم يقضون عليهم .. وأقصى نجاح يمكن أن يلمحوا بتحقيقه ساعتها هو أن يفلحوا فى التراجع ساحبين جثث موتاهم والمصابين منهم.. ومن الطريف أن نعلم أنه لم يكن من المستبعد على المحصورين إن هم حاولوا الاستغاثة بقيادتهم ، طالبين النجدة ، أن يجدوا مقر القيادة ذاته يستغيث بدوره طالباً النجدة بعد أن هاجمته قلوب المقاتلين الفيتامين ا وقد فقدت وحدات من الجيش الأمريكى معظم رجالها بين قتيل وجريح بهذه الطريقة حتى صار الواحد منهم لا هدف يرحوه ولا أمانة لديه يعلم بها إلا أن يبقى حياً حتى تنتهى مدة

خدمته التي يقوم بعد أيامها يوماً بيوم في انتظار يوم الخلاص ، أما الرغبة في النصر فلم تكن تشغل أحداً إلا الساسة في واشنطن الذين لا يشعرون بالضياح والإحباط الذي يعاني منه مقاتلوهم في ساحة المعركة .

ولعل هذه الصورة تبدو أكثر وضوحاً لمن سبق له أن رأى واحداً من الأفلام الأمريكية الكثيرة التي تناولت المعارك في فيتنام .

مهرجان اصطيد الطائرات :

كانت الطائرات الأمريكية تحوم حول الأراضي الفيتنامية لتحمل الموت إلى القرى والمدن ولكن الغريب أن هذه الطائرات نفسها تحولت بعد فترة قصيرة من بداية المعركة من أداة للقتل والتدمير إلى مادة طريفة خلال المعركة ؛ فقد اتجه الفيتناميون إلى العمل على اصطيد هذه الطائرات التي تحمل الموت إلى أبناء شعبهم، وكانوا يقومون بإحصاء عدد الطائرات التي يسقطونها وينقلون حطامها إلى الميادين العامة وسط مظاهر للبهجة والفرحة ، وشغلهم هذا الأمر فكانوا يترقبون العدد ويستفسرون عنه لدرجة أنهم كانوا يعلقون اللوحات في شوارع المدن الفيتنامية تحمل آخر أبناء عن عدد الطائرات الأمريكية التي أسقطها أبناء الشعب كما كانت الإذاعة الفيتنامية تذيع هذه الأرقام تباعاً .

وقد كانوا يحتفلون ويهنئ بعضهم بعضاً عندما كان العدد يكمل مائة ، أما حين يصل إلى الألف فقد كان الاحتفال يتحول إلى مهرجان شعبي عام !

وقد يجد البعض أن الأمر به مبالغ في الأرقام ، لكن الحقيقة أن الولايات المتحدة اعترفت بعد نهاية المعركة بسقوط ٣٧٠٠ طائرة مقاتلة بالإضافة إلى ٥ آلاف طائرة هليكوبتر خلال سنوات الحرب !! أى أنه عبارة أخرى يمكن القول أن المهرجان الفيتنامي الألفى لإسقاط الطائرات الأمريكية تكرر ثمان مرات خلال المعركة .

وكان الفيتناميون في أول الأمر يتبعون طرقاً غاية في البساطة في اصطيد الطائرات وإن كانت تحتاج لكثير من المهارة والصبر معاً ؛ فقد كانوا ينصبون الرشاشات في أعالي أشجار جوز الهند المنتشرة في غاباتهم وكذلك على أعالي الجبال ويغطونها بأوراق الأشجار ويكمنون بها انتظاراً للحظة الحاسمة للنيل من أى طائرة تمر بهم مما جعل الطيارين الأمريكيين يخلقون عالياً هرباً من نيرانهم فيتسبب ذلك بدوره في تفويت الفرصة عليهم بالتالي في ضرب الأهداف الفيتنامية العسكرية أو المدنية .

ولكن الأمر تطور بعد ذلك عندما أمد الإتحاد السوفيتي فيتنام بصواريخ سام المضادة للطائرات وطائرات الميج ٢١ ، وبدخولهما إلى ساحة المعركة صارت مهمة اصطيد الطائرات الأمريكية أكثر فاعلية من ذي قبل ، والطريف أن بعضاً من الطائرات التي كانت تنجح في الإفلات من النيران وهى في الجو كانت ربما تجرد في انتظارها مفاجأة غير سارة ، بمجرد أن تطأ عجلاتها الأرض ، فقد كان الفيتناميون يلغمون كذلك الأماكن التي يتوقعون أن قبض عليها الطائرات .

وكان إسقاط الطائرات الفانتوم الأمريكية واحدة وراء الأخرى يتسبب في حالة من الألم الشديد الموجه للقيادة الأمريكية التي لم تتمكن حتى نهاية المعركة من إيقاف حركة هذا الطابور من طائراتها المخططة ، وكان الألم مضاعفاً على القادة الأمريكيين حين ينجح الثوار - وقد نجحوا بالفعل أكثر من مرة - في نسف الطائرات الأمريكية وهى مصطفة في قواعدها المخاطة بالحراسة المشددة من غير أن تتمكن الحراسة حتى من الإمساك بالفاعل !

ولنستمع إلى شهادة جندي أمريكي من داخل المعركة ، يقول الأمريكي أوليفر نورث الذى كان قائداً لفصيل عسكري في فيتنام قبل أن يندم في البيت الأبيض لخمس سنوات في مجلس الأمن القومى في مذكراته :

" كان الهجوم صاعقاً وساحقاً وأثار صدمة عنيفة وحقيقية لدى زعماء واشنطن ، إذ فقد الأمريكيون أكثر من ستة آلاف عسكري في قتال لم يدم أكثر من بضعة أيام . وجرى الهجوم على سفارة الولايات المتحدة في سايجون والمطار وحتى القصر الجمهوري السايغوني .. "

(الصراع على العالم - جان النشائين)

وكان أخطر ما في هذا الهجوم المدهش أنه تم في ٦٤ مدينة فيتنامية و٢٤ قاعدة ومطار في وقت واحد ! أما المذهل أن القيادة الأمريكية بكل أجهزة الاستخبارات التي لديها لم تكن قد رصدت حركة هذا العدد الهائل من رجال المقاومة ولا هذا الكم الضخم من الذخيرة والمعدات التي تم نقلها وتخزينها لحين استخدامها في اللحظة المتفق عليها ..

" أثبت الهجوم الشامل الذي قام به الفيتناميون الشماليون إفلاس الاستراتيجية العسكرية الأمريكية ، وكان إهانة بالغة موجهة إلى برنامج جونسون في فيتنام .. "

(موجز تاريخ الولايات المتحدة - آلان نيفيتر . هنري ستيل كوماجر)

وحسب ما ذكر الرئيس الأمريكي جونسون في مذكراته^(٩) بعد ذلك أن عدد القوات الفيتنامية التي شاركت في الهجوم قد قدر بحوالي ٨٤ ألف مقاتل .

مذبحة ماى لاي "My Lai" :

تسبب هذا الهجوم الكاسح في حالة من الجنون لدى الجند الأمريكيين الذين قتلهم السبب والرعب من المصير المحتوم فانطلقوا بهاجمون القرى الفيتنامية ..

(٩) نشرت جريدة الأهرام مذكرات الرئيس الأمريكي جونسون خلال شهر أكتوبر (تشرين أول) عام

يقتلون الحيوانات ويستلّفون المحاصيل وعندما يتذمر القرويون يطلقون عليهم الرصاص ثم يضرّمون النار في بيوت القرى المصنوعة من القش بينما هم ينسحبون يتلفتون خوفاً من انتقام الثوار ..

ورغم أن هذه الأعمال صارت من الروتين اليومي للمعركة غير أن الأمر تجاوز الحدود في إحدى المرات بالذات ، ففي ١٦ مارس (آذار) ١٩٦٨ - أى بعد شهر ونصف من هجوم التيت - قامت كتيبة من كتائب مشاة الجيش الأمريكى بالمهجوم على إحدى القرى الفيتنامية ثم قام تلك الكتيبة بقتل أهلها البالغ عددهم ٥٠٠ فلاح خلال عدة ساعات بغير قهمة بخلاف أهم فيتناميون .

وكان اسم هذه القرية الفيتنامية "ماى لاي" " My Lai " .

وقد أنشأت هذه المذبحة مشاعر أحد الجنود الأمريكين فبعث برسالة إلى الكونجرس يروى فيه ما رآه بنفسه في القرية المنكوبة التى لم يرتكب أهلها أية جريمة غير أن السلطات الأمريكية رأت أن المصلحة تقتضى إخفاء مثل هذه الحقائق المستفزة وبالفعل تم التستر على الخبر ، وظل الأمر فى طى الكتمان لأكثر من عام وإن كان تسبب بعد ذلك فى أزمة كبيرة .

التهديد الأمريكى بالسلح النوى :

عما لا خلاف عليه أن هجوم التيت الفيتنامى ترك تأثيراً بالغاً فى تغيير مسار المعركة بدرجة كبيرة ؛ فقد كان الهجوم كاسحاً والخسائر الأمريكية المادية والمعنوية ضخمة

ولم تجحد السلطات الأمريكية مفرأ - بعد هذه الهزيمة المخزية - من التلويح باستخدام الأسلحة النووية فى فيتنام بعد مرور عدة أيام من هجوم التيت ، بغرض إنهاء المعركة كما فعلت قبل ذلك فى اليابان غير أنها أحجمت عن تنفيذ تهديدها

خوفاً من احتمال الرد النووى سواء من الاتحاد السوفيتى أو الصين - وكلتاها تمتلك سلاحاً نووياً - مما ينذر بدمار شامل لا يعرف أحد منتهاه .

ومن الغريب والمضحك أنه فى نفس التوقيت الذى صرحت فيه السلطات الأمريكية باحتمال استعمال السلاح النووى صرحت حكومة فيتنام الشمالية أنها تجدد دعوتها لإجراء محادثات سلام مع أمريكا قبل أن يمر عشرة أيام على الهجوم ! وقد سارع الجنرال ويستموور لاند قائد الجيوش الأمريكية فى فيتنام بمطالبة واشنطن بإرسال مدد - بمقد أدنى ٥٠ ألف جندي - لاستعادة المبادرة الأمريكية فى الحرب ، غمى أن القيادة الأمريكية رفضت طلبه بل وقررت استبداله هو شخصياً وتم تكليف الجنرال " أبرامز " بدلاً منه ، وهو مثل سلفه كان قد أثبت جدارة خلال الحرب العالمية الثانية^(٩) .

وقد قامت السلطات الأمريكية بإرسال بعثة تحقيق عسكري لتقييم الموقف ، وعندما قدمت البعثة تقريراً متشائماً تقرر بناءً عليه إحداث بعض التغييرات فى خطط المعركة كان أهمها زيادة استخدام الأسلحة الكيماوية .

ومن الأمور الغريبة أن نعلم أن الإعلام الأمريكى ومعظم السياسيين الأمريكيين تولوا مهمة الترويج لمقولة أن الهجوم الفيتنامى فشل فى تحقيق أهدافه ، وأنه كان هجوماً فاشلاً !

انسحاب الرئيس الأمريكى من المعركة الانتخابية :

وبعد شهرين من هجوم التيت أعلن الرئيس الأمريكى جونسون فى خطابه بتاريخ ٣١ مارس (آذار) ١٩٦٨ وقف عمليات القصف رغبة فى التفاوض كما أعلن كذلك إنه لن يقوم بترشيح نفسه فى انتخابات الرئاسة المقبلة بسبب دوره فى ورطة فيتنام .

(٩) كان أبرامز قائداً للفرقة التى حررت مدينة باستونية البلجيكية فى معركة الأردن .

" أعلن جونسون في خطابه وفقاً جزئياً للغارات الجوية الأمريكية على الشمال داعياً الفيتناميين في مقابل ذلك إلى بدء التفاوض بين الطرفين ، فردت هانوى في ٣ إبريل (نيسان) بالموافقة على العرض ، وفي ٣ مايو (أيار) اتفق على باريس مكاناً للمفاوضات ، وخلال أيام جلس الوفد الأمريكى في مجاهدة الوفد الفيتنامى .. "

(استراتيجية التفاوض في التجربة الفيتنامية - على فياض)

والذى يقرأ رواية الرئيس الأمريكى جونسون في مذكراته يرى بوضوح مدى فرحتهم ولهفتهم التى تلقوا بها بيان هانوى للاستعداد للتفاوض ؛ فهو يحكى كيف أن غرفة للعمليات انعقدت فوراً، وأحضرت له النص الكامل للبيان، وأقم أرسلوا - بسرعة فائقة - إلى هانوى رغبته في الاجتماع بهم تاركين لهم حرية اختيار المكان والزمان .

ومما لاشك فيه أن هجوم التيت الكاسح لقوات فيتنام الشمالية تسبب في حالة من الحرج الشديد للولايات المتحدة ؛ فمع نهاية عام ١٩٦٧ - ورغم المقاومة الفيتنامية الشرسة - كان القادة الأمريكيين يصرحون بأن إنهاء المعركة وإحراز النصر الأمريكى الحاسم أمر حتمى ، وربما يحتاج الأمر كله إلى عام على الأكثر لسحق المقاومة الفيتنامية بعد استنفاد قوتها غير أن " هجوم التيت " قلب الموازين كلها رأساً على عقب ، فقد جاء الهجوم في وقت القادة الأمريكيين ينتظرون بفارغ الصبر إحراز نصر من أى نوع ليتمكنوا من إنهاء المعركة مع احتفاظهم بكبرياء المنتصر بالتفاوض السلمى مع قادة فيتنام هرباً من التكاليف المادية الضخمة للحملة العسكرية والخسائر الفادحة في الأرواح والمعدات وطول المعركة بلا أمل في إحراز أى نصر ..

يقول هنرى كيسنجر :

" ترجع بداية التفكير في المفاوضات إلى ذلك التصريح الذى أدلى به الجنرال " ويستمولرلاند " (قائد الجيوش الأمريكية فى فيتنام) أمام الكونغرس فى نوفمبر (تشرين ثان) عام ١٩٦٧ من أنه قد تم كسب المعركة عسكرياً وأنه فى إمكان الولايات المتحدة سحب قواتها تدريجياً فى أواخر عام ١٩٦٨ الأمر الذى أدى بالرئيس جونسون إلى التفكير بدوره فى برنامج المسألة لولا أن هجوم التيت فاجأ افتراضات الاستراتيجية الأمريكية .. "

(مفهوم السياسة الخارجية الأمريكية - هنرى كيسنجر)

هنرى كيسنجر :

كان كيسنجر مستشاراً لحكومة كل من الرؤساء إيزنهاور و كينيدي ثم جونسون ، وقد صار بعد ذلك مستشاراً لشئون الأمن القومى خلال فترة رئاسة نيكسون وقد أصبح كيسنجر وزيراً للخارجية بعد ذلك فى فترة رئاسة فورد الذى خلف نيكسون

وقد ذكر كيسنجر فى مذكراته أنه مع بداية الستينات لم يكن مهتماً بدرجة كبيرة عما يحدث فى فيتنام ، وفى أغسطس (آب) ١٩٦٥ زار كيسنجر فيتنام لأول مرة ومكث بها لأسبوعين ، ويحكى أنه فى هذه الزيارة مثل حاكم إحدى المقاطعات الفيتنامية إلى أى حد يبلغ أمن المقاطعة . يقول كيسنجر :

" فأجابني بافتخار : إن أمنها يوازى ثمانين بالمائة . وعندما سافرت ثانية إلى فيننام فى شهر يوليو (تموز) ١٩٦٦ (أى بعد عام) كان اهتمامى موجهاً نحو زيارة نفس المقاطعات لأتمكن من تقييم التغيرات ، وأعلمنى حاكم المقاطعة نفسه

أن تقدماً عظيماً قد أحرز منذ زيارتي الأخيرة فسأله عن حدود أمن المقاطعة
فأجابني أيضاً باعتزاز مثل المرة الأولى : إن أمنها بحدود سبعين بالمائة !!

(مذكرات كيسنجر - الجزء الأول)

وقد خرج كيسنجر بعد هاتين الزيارتين بتحليل للموقف مفاده كما يقول
هو :

" إننا نخوض غمار حرب لا نعلم كيفية الانتصار فيها ولا طريقة وضع
حل لها .. "

وعن رأيه الشخصى عن طريق الخلاص يقول :

" وأخيراً فإن الوسيلة الوحيدة لإنهاء القضية الفيتنامية هى فى الاتفاق على
تسوية . "

(مذكرات هنرى كيسنجر - الجزء الأول)

وكان كيسنجر يرى أن الحرب إذا دارت بين الجيوش الأمريكية وبين
الجيوش الفيتنامية فالنصر لا محالة من نصيب الجيوش الأمريكية ، لكن الحقيقة أن
الحرب لا تدور بين جيشين وإنما هى بين جيش تقابله عصابات تجيد الكر والفر
والخيل والكمائن ، ولذلك لا يوجد توصيف مفهوم للنصر والهزيمة وبعبارة أخرى
لا نهاية للحرب . وبناء على هذه النظرة طلب كيسنجر من القيادة الأمريكية أن
يقوم بنفسه بالقيام بمهمة السعى فى الوصول إلى هذا الاتفاق وهذه التسوية ..

" ومن شهر يوليو (تموز) حتى شهر أكتوبر (تشرين أول) من عام ١٩٦٧
طلبت إلى حكومة جونسون القيام بدور الوسيط .. "

ويسرد كينجر أنه عندما حصل على الموافقة بدأ في تنفيذ مهمته ققام بإرسال الرسائل إلى زعماء هانوى لتهيئة الأجواء للتفاوض ، وكانت هذه هي الخطوة الأولى في طريق المفاوضات بين الطرفين .

بداية المفاوضات والمقترحات الأمريكية :

وفي مايو (أيار) ١٩٦٨ بدأت المفاوضات الرسمية للمرة الأولى ، وخلالها طرح المفاوضون الأمريكيون خططهم التي تدعوا لانسحاب القوات الأمريكية من فيتنام الجنوبية على أن يواكبها من الطرف الآخر انسحاب لقوات فيتنام الشمالية أو بمعنى أصح أن يرفع كل من الأمريكان والشيوعيين أيديهم عن فيتنام الجنوبية ويتركونها لأهلها ولحكومتهم غير أنهم اشترطوا أن يتم انسحاب قوات فيتنام الشمالية أولاً ثم يليه انسحاب القوات الأمريكية بعد ستة أشهر .

وكان الرد الفيتنامي على هذا الاقتراح هو الرفض القاطع لكل الحلول والتمسك بالمطالبة بضرورة الانسحاب الأمريكي الكامل وغير المشروط .

وبعد طول مداوات وصل التفاوض إلى طريق مسدود ، وبذلك فشلت المحاولة الأولى من المفاوضات في التوصل إلى أية حلول دبلوماسية للأزمة .

ولكن على الرغم من هذا الفشل فقد كان طريق المفاوضات هو الطريق الأوحده لدى الرئيس الأمريكي جونسون للخروج من المأزق الذي تورطت فيه القوات الأمريكية في فيتنام ومع اشتداد المعارضة ضد استمرار القتال بغير طائل ورغم محاولات إخفاء الحقائق ، وبخاصة أن التوقعات و التصريحات المعلنة قبل المعركة كانت مختلفة تماماً عما جرت عليه الأحداث بعد ذلك .

" كان الخسراء قد توقعوا إنفاق مبلغ ١٠ مليارات دولار في حال اندلاع الحرب في فيتنام . وفي الواقع تكلفت الحرب ضعفى هذا المبلغ .. "

(تاريخ العالم المعاصر - بيار ميكال)

" ورغم أن الإدارة الأمريكية لم تعترف حتى أواخر عام ١٩٦٨ بأكثر من ثلاثين مليار دولار كتكلفة سنوية للحرب ، مع ٣١ ألف قتيل أمريكي إلا أن هذه الأرقام كانت كفيلة بدفع المزيد من الأمريكيين إلى الانضمام للمعارضة والمطالبة بالانسحاب من فيتنام .. "

(استراتيجية التفاوض في التجربة الفيتنامية - علي فياض)

وقف القصف على الشمال الفيتامى :

وعلى ذلك فقد كرر الرئيس الأمريكى فى مطلع نوفمبر (تشرين ثان) ١٩٦٨ المحاولة من جديد معلناً وقف القصف على فيتنام الشمالية للمرة الثانية ليفتح باب المفاوضات مرة أخرى ، ولكى يبرر الموقف أمام المتشددين من رجال السياسة الأمريكية فقد ذكر أنه تلقى تعهداً ضمناً من قادة فيتنام الشمالية - بطريق غير مباشر - بعدم مهاجمة مدن الجنوب وإيقاف حركة جيوشهم مما يفيد بأن لوقف القصف الأمريكى ثمناً من الجانب الفيتامى . غير أن الأمر صار شديداً الحرج على الرئيس الأمريكى عندما نفى الجانب الفيتامى هذا الأمر تماماً واصفاً إياه بأنه مجرد "إدعاء" من جانب الرئيس الأمريكى وليس له أساس من الصحة !

وقد وجه الزعيم الفيتنامى هوشى منه نداءً إلى أبناء فيتنام صرح فيه برغبته فى تحقيق السلام من ناحية ، ومن ناحية أخرى دعا الشعب الفيتنامى إلى مواصلة القتال حتى رحيل آخر جندي أمريكى !

احتجاج عالمى وتأييد إنجليزى :

فى هذا التوقيت وصلت أصوات الاحتجاج فى مختلف دول العالم على الحرب الأمريكية غير المبررة فى فيتنام إلى ذروتها ، ونظمت الأحزاب الشيوعية المظاهرات

في عديد من الدول الأوربية احتجاجاً على ما تقوم به الجيوش الأمريكية من جرائم في فيتنام .

ووسط هذا الرفض العالمى لسياسة الولايات المتحدة في فيتنام ودول الهند الصينية كانت بريطانيا هى الدولة الأوربية الوحيدة التى أعلن رئيس وزرائها في وقت مبكر تأييده للولايات المتحدة في سياستها . وما أشبه الليلة بالبارحة !

ولقد استمر التأييد البريطانى رغم رفض الشعب الإنجليزى لموقف حكومته الذى تزايد مع استمرار المعركة في فيتنام وتطورها ، وقد نشرت جريدة الأهرام في عددها الصادر بتاريخ ٧ مايو (أيار) ١٩٧٠ أن شوارع لندن قد شهدت هياجاً ضد التبعية الأمريكية وصل لدرجة أن الجماهير هاجموا السفارة الأمريكية وأن حالة من الثورة قد اجتاحت مجلس العموم البريطانى نفسه .

فضائح أمريكية :

أسهمت أجهزة الإعلام داخل الولايات المتحدة وخارجها بدور كبير في زيادة الغضب العالمى ففى داخل الولايات المتحدة نشرت صحيفة أمريكية في مطلع عام ١٩٦٨ نص خطاب أرسله طبيب كندى عمل لثلاث سنوات في فيتنام أعترف فيه بأن الجيوش الأمريكية تستخدم نفس الغازات السامة التى سبق لألمانيا النازية أن استخدمتها في الحرب العالمية الثانية . وعندما فر عددٌ من البحارة الأمريكين من فيتنام وذهبوا إلى العاصمة السويدية استوكهولم طالبين اللجوء إلى السويد قام التلفزيون الأمريكى بتقديمهم في برنامج تليفزيونى تم تسجيله في العاصمة السويدية وهم يعلنون أنهم غير آسفين على فرارهم من الخدمة !

كما أعلن سيناتور أمريكى بأن حادثة تونكين التى أعلنت الولايات المتحدة الحرب على فيتنام بسببها كانت مفتعلة ، وبعدها أعلنت لجنة العلاقات الخارجية

مجلس الشيوخ الأمريكى بأن لديها رسالة سرية خاصة تؤيد ما سبق أن أعلنه السيناتور بخصوص الحادثة ، وأن المدمرة الأمريكية بالفعل استفرت زوارق الطوربيد الفيتنامية حتى تضطرها لمهاجمتها رغبةً في اتخاذ الموقف ذريعة لبداية الحرب مما دفع نائب في الكونجرس إلى التصريح علناً بأن الرئيس الأمريكى جونسون يحجب نصف الحقيقة على الأقل بالنسبة للحرب عن الشعب الأمريكى.

أما عن أكبر الفضائح التى كانت الإدارة الأمريكية تعتمد التهمين منها والتعمية عليها فهى الحرب الكيميائية التى تشنها الجيوش الأمريكية على الأراضى الفيتنامية .

الحرب الكيميائية :

تشغل الغابات مساحات كبيرة من التضاريس الفيتنامية تمثل فى ذاتها ثروة كبيرة للبلاد .

" تبلغ مساحة الغابات ١٦ مليون هكتار تغطى حوالى ٤٣ ٪ من مساحة البلاد ،

وهى غنية جداً بمختلف أنواع الأشجار المثمرة التى تصل إلى مائة نوع والأشجار الطبية وغير المثمرة التى تبلغ حوالى ألف نوع .. "

(التجربة العسكرية الفيتنامية - على فياض)

وكان الشوار يستغلون هذه الغابات كمعاقل يخفون فيها ويخزنون فيها سلاحهم ويهاجمون القوات الأمريكية إذا حاولت المرور خلالها كما كانت تمثل بالنسبة لهم مصدراً للغذاء . وعلى ذلك فقد اعتبرت الجيوش الأمريكية أن الغابات تقوم بدور هام فى التعاون مع العدو ضدهم لعرقلة مهمتهم فى السيطرة على البلاد ، وأن الغابات صارت - بالتبعية - حصصاً لهم !

وفي مطلع عام ١٩٦١ كان الرئيس الأمريكي كينيدي قد أعطى الموافقة على استخدام المبيدات القاتلة في حرب الجيوش الأمريكية ضد غابات فيتنام .

العامل البرتقالي " orange Agent " :

للقضاء على الغابات الفيتنامية قامت الجيوش الأمريكية باستخدام أنواع من المبيدات الحشرية القاتلة وصل عددها إلى ١٥ نوع للقضاء على كل ما هو أخضر .

وللتفرقة بين أنواع المبيدات المختلفة استخدم المتخصصون الألوان بحيث يأخذ كل مبيد "كود" خاص به ، بلون مختلف عن غيره . وهو شيء يشبه الدمغة الملونة لتمييز العبوات التي تم شحنها إلى أرض المعركة ، وعلى هذا فقد كان هناك ما يعرف باسم العامل الأبيض والأخضر والأرجواني والأزرق والقرنفلي حسب كود الألوان .

أما أشد هذه المبيدات أثراً وأكثرها فتكاً هو المعبأ في العبوات ذات الكود البرتقالي لذلك فقد عُرف باسم " العامل البرتقالي " .

وقد بلغ استخدام المبيدات القاتلة الذروة عام ١٩٦٥ ، ونظراً لظهور آثاره الفتاكة فقد ارتفعت الأصوات المعارضة لاستخدامه

وببلغت المساحة التي تم رشها بالعامل البرتقالي حسب ما ذكرت بعض المصادر أكثر من ١٠ آلاف كم مربع من الغابات تعرض معظمها للرش مرتين لا مرة واحدة .

والحقيقة أن النتيجة جاءت مبهرة .. بل شديدة الإهمال فقد أتى العامل البرتقالي على الأخضر واليابس وتكفل بتدمير الغابات تماماً لسنوات طوال امتدت لما بعد نهاية الحرب بخلاف الآثار الأخرى التي ظهرت على الآدميين بعد ذلك .

إلى ذلك أعلنت السلطات الأمريكية أنها استخدمت كميات ضئيلة من هذا المبيد القاتل "العامل البرتقالى" على مدى سنوات الحرب لكن الجميع كانوا على علم بأن هذه التصريحات للتهدئة ليس إلا ، وكانت طريقة استخدام تتم برشه من الطائرات أو السيارات بالإضافة إلى الطريقة اليدوية باستخدام رشاشات اليد .

"ويعقد عام ١٩٦٨ جاوز تعداد القوات البرية والجوية الأمريكية المشتركة في القتال النصف مليون مقاتل عملوا جميعاً على تدمير القرى مستخدمين الكيماويات في إزالة منطقة لا تقل مساحتها عن مساحة مساشوستس ."

(موجز تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية - آلان نيفيتر .هنرى ستيل
كوماجر)

ونتيجة للضغوط وظهور بعض الحقائق المخفية فقد بدأت السلطات الأمريكية تعترف بعد فترة بأن الكمية أكبر قليلاً مما تم إعلانه ، والحقيقة أن المصادر لا تتفق على الكمية بالضبط فمنهم من قال ١٩ مليون جالون ومنهم من ذكر أنها حوالى ٣٧٢ ألف لتر .. لكن الثابت أن المصادر كلها تتفق على أن الكمية تدخل في باب الأرقام الفلكية .

ويكفى أن نعرف أن بعثة الأكاديمية القومية الأمريكية للعلوم قد قامت بزيارة للمنطقة عقب الحرب وذكرت في تقريرها أن منطقة الغابات يلزمها أكثر من مائة عام لكي تعود إلى سابق عهدها

الانتخابات الأمريكية :

في الولايات المتحدة حزبان أساسيان يتبادلان الحكم الحزب الديمقراطي وشعاره الحمار والحزب الجمهورى وشعاره الفيل .

وعندما بدأت الحملة الانتخابية لعام ١٩٦٨ كانت القضية المحورية في البرنامج الانتخابي الذي يتنافس عليه كل من الحزبين هو تقديم مشروع مقبول لحل المشكلة الفيتنامية .

ورغم أن الرئيس الأمريكى جونسون كان ممثلاً عن الحزب الديمقراطى إلا أن عدد المعارضين عليه من داخل الحزب الديمقراطى ذاته كان كبيراً خلال فترة رئاسته حتى أصبح من الطبيعى أن يصرح بعضهم بأن الحرب في فيتنام هي أكبر جريمة أخلاقية واقتصادية وسياسية في تاريخ الولايات المتحدة مما أحدث انشقاقاً داخل الحزب يقوده السيناتور "روبرت كينيدي" شقيق الرئيس الأمريكى الراحل جون كينيدي والذي كان يشغل منصب وزير العدل خلال فترة رئاسته .

أما الحزب الجمهورى ويمثله مرشحه ريتشارد نيكسون فقد قدم مشروعه تنصده الوعود بسحب القوات الأمريكية وإنهاء المعركة بخطوات سريعة .. وفى النهاية أسفرت الانتخابات عن فوز نيكسون .

"عندما جاء نيكسون إلى الحكم كان الموقف في فيتنام يزداد سوءاً بالنسبة للحكومة الأمريكية ، فخسارها السياسية أخطر من خسارتها المادية ، وتعرض الموقف الأمريكى إلى انتقادات شديدة من قبل العديد من الأوساط السياسية الدولية كما أن رأى العام الأمريكى كان يشجب بعنف سياسة أمريكا التى لم تحقق أى مكسب من وراء تورطها في فيتنام . . "

(مبادئ الرؤساء الأمريكان - سليم الحسنى)

وقد انتظر من انتخاب الرئيس الجديد تنفيذ الوعود وإنهاء الأزمة . " لكن الشهور الأولى من حكم نيكسون أحبطت آمال أولئك الذين اعتقدوا بصدق

وعوده الانتخابية السابقة ، وفوجئوا بالرئيس ليس فقط بماطل في مسألة الانسحابات ويؤجلها بل يستمر في القتال ويصعده .. "

(استراتيجية التفاوض في التجربة الفيتنامية - على فياض)

واندفع الغضب من استمرار هذه الحرب التي لا تبشر بأى نصر .

" قاطع طلبة كاليفورنيا (ولاية الرئيس نيكسون) الدراسة على امتداد ١٣٤ يوماً ، ثم طلبة سان فرانسيسكو الذين تضامنت معهم ٣٤ كلية جامعية، ثم توسعت المظاهرات المعادية للحرب إلى ٥٠ مدينة منها نيويورك وانتشرت حملة لرفض الخدمة العسكرية .. مظاهرات النساء جاءت بعد الطلبة مباشرة حيث ضمت بالأساس أمهات وزوجات وأخوات الجنود الموجودين في فيتنام . "

(استراتيجية التفاوض في التجربة الفيتنامية - على فياض)

وبخلاف المظاهرات ظهر عدد غير قليل من التنظيمات واللجان لمعارضة استمرار الحرب في فيتنام شارك فيها رجال السياسة والعلماء الحائزون على جائزة نوبل ورجال الكنيسة ورجال الأعمال .

ولعل مما زاد من هياج الرأى العام أن عدداً من الأمور التي تم التستر عليها وإخفاءها في حينها من قبل السلطات بدأ يتكشف ، وكان خير مذبحة قرية ماى لاي الفيتنامية واحداً من أهم هذه الأسرار .

فقد قام صحفي أمريكي بنشر خبر عن تفاصيل هذه المذبحة بعد أن مر عليها حوالى عام ضمن محادثات مع جندي محارب في فيتنام مما تسبب في صدمة للرأى العام أعقبه حال من الهياج تزعمها الرافضون لاستمرار المعارك في فيتنام .

ونشطت الصحف ووسائل الإعلام في التنافس للإعلان عن المزيد من الأخبار من الجنود الذين شاركوا في المعركة ، وخلال أسابيع قليلة صار الصحفي الذى

نشر الخبر نجماً شعبياً تستضيفه البرامج التلفزيونية ليتحدث وتكتب عنه الصحف كما تعرض الصور التي تمكن من الحصول عليها ، وقد أصدر هو نفسه بعد ذلك كتاباً عن جرائم الحرب في فيتنام .

وكان من نتيجة كل ذلك أن عامة الناس صاروا ينظرون إلى كل من يرتدى الزي العسكري على أنه مجرم قاتل .

" لقد أصابت حادثة ماى لاى جميع العسكريين .. وكان قطاع كبير من الرأى العام الأمريكى قد تحول ضد الحرب في فيتنام .. وصلت إلى حد أن قائد المدرسة العسكرية أصدر أمراً للضباط الزاهيين إلى خارج المدرسة بأن لا يرتدوا الزي العسكري .. وأخبرني بعض الطلاب أنهم تعرضوا لبصق الجمهور .. "

(تحت النار - ألينر نورث)

و تحت ضغط الرأى العام المطالب بالتحقيق في الواقعة اضطرت السلطات الأمريكية إلى محاكمة الملازم الذى قاد المجزرة ويدعى " ويليام كالى " ، وقد حُكم عليه بالسجن المؤبد رغم أنه أكد في شهادته أنه تلقى معلومات صريحة من قيادته بتنفيذ مبدأ " تعقب واقتل " .

(هامش) خرج هذا الرجل من السجن بعد أن أمضى ثلاث سنوات فقط بموجب عفو أصدره الرئيس الأمريكى نيكسون .

وقد صار اسم هذه القرية شهيراً عقب إعلان هذه المذبحة الدامية ؛ فتكونت باسمها الجمعيات والمنظمات المناهضة للحروب ، وصار مجرد ذكرها علماً دالاً على الجرائم الأمريكية في فيتنام . وإذا حاول أحد أن يبحث عن اسمها على صفحات الإنترنت فسيعرف أنها من الأعلام الشهيرة بشرط أن يكون البحث باللغة الإنجليزية وذلك لأنها - للعجب - لا وجود لها في الذاكرة العربية مطلقاً فنحن على ما يبدو لا نحب التدخل في شئون الغير !

سياسة "الفتنة" :

سعى الرئيس الأمريكى نيكسون إلى فتح باب التفاوض مع حكومة فيتنام ، إلا أنه فى الوقت نفسه عمد إلى فكرة جديدة تخرج الولايات المتحدة من المأزق . " أعلن الرئيس الأمريكى الجديد ريتشارد نيكسون سياسة " الفتنة " ووفقاً لها كان على قوات جنوب فيتنام أن تتحمل الدفاع عن نفسها .. "

(موجز تاريخ آسيا الحديث والمعاصر - د. ميلاد أ. المقرحى)

وكما هو واضح فالمقصود بسياسة " الفتنة " هو أن ترحل القوات الأمريكية لتحل محلها قوات من فيتنام الجنوبية ، فيؤدى ذلك إلى استمرار المعركة من جهة ومن جهة أخرى خروج الجيوش الأمريكية من المأزق . وفى يوليو (تموز) ١٩٦٩ جرى أول انسحاب للجنود الأمريكان ..

" بدأ الرئيس نيكسون فعلاً فى سحب بعض قواته البرية ببطء .. وهذا ما أسماه نيكسون " فتنة الحرب " مع نقل الخسائر من الجانب الأمريكى إلى الجانب الفيتنامى .. "

(موجز تاريخ الولايات المتحد - آلان نيفيتر . هنرى ستيل كوماجر)

وبناء على هذه الاستراتيجية الجديدة لزم تدريب القادة الأمريكين للقوات الفيتنامية بشكل مكثف وإشراك ضباطهم فى الدورات المتخصصة لتولى العمليات العسكرية ، وقد قام الرئيس الأمريكى نيكسون بزيارة إلى سايجون (عاصمة فيتنام الجنوبية) للإشراف بنفسه على تنفيذ هذه السياسة وإزالة العقبات أمامها .

الحكومة الثورية المؤقتة :

مع توالى انتصارات الثوار فى الجنوب صارت هناك مناطق تحت سيطرتهم المطلقة لا ينازعهم أحد فيها ، وكانت هذه المناطق تكفى لتكون هى نواة لدولة

خاصة هم وبالفعل أقاموا عليها دولتهم وأعلنوا قيام حكومة ثورية مؤقتة في يونيو (حزيران) ١٩٦٩ ..

" ومن أبرز التطورات السياسية التي شهدتها الساحة الفيتنامية في زمن الفتنة إعلان الثورة الفيتنامية عن قيام الجمهورية الجنوبية وتأليف حكومة ثورية مؤقتة في الأراضي المحررة ، وقد جاءت هذه الخطوة تنويجاً للانتصار العسكرى .. "

(التجربة العسكرية الفيتنامية - على فياض)

وعلى الأراضي المحررة قامت جمهورية جديدة ذات علم ونشيد وشعار وطني خاص بها.. وبذلك أصبحت أرض الجنوب الفيتنامي تضم جمهوريتين وحكومتين.

"واختارت الحكومة أغنية الثوار كنشيد وطني وعلم الثورة علماً قومياً وأهداف الثورة الفيتنامية شعاراً لها .. "

(فيتنام قصة كفاح شعب - محمد جلال عباس)

وقد اعترفت الدول الشيوعية في مختلف أنحاء العالم بهذه الدولة الجديدة ، وجدير بالذكر أن مصر كانت ضمن هذه الدول التي أعلنت تأييدها لها بحكم كونها من الدول التي تدور في فلك الاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت .

مزيد من الاحتجاج الأمريكي :

رغم أن سياسة الفتنة كانت تعنى تخفيض عدد الجيوش الأمريكية في فيتنام غير أنها لم تغلح في إسكات أصوات المعارضين على موت أبنائهم على بعد آلاف الأميال من بلادهم بلا هدف مفهوم ، وفي العاشر من يناير (كانون ثاني) عام ١٩٧٠ الذي يوافق عيد ميلاد الرئيس الأمريكي نيكسون وقف المتظاهرون أمام البيت الأبيض يهتفون ضده .

وبعد أن كان التهرب من التجنيد يعتبر تصرفاً فردياً تحول إلى قضية عامة حتى إن المتظاهرين حددوا أسبوعاً للاحتجاج خلال شهر مارس (آذار) ١٩٧٠ كان شعاره " لا تنضم إلى الجيش " .

وقد ذكرت جريدة الأهرام بتاريخ ١٨ مارس (آذار) ١٩٧٠ أن برلمان ولاية ماساتشوستس الأمريكية وافق بالأغلبية على مشروع قانون يمنع سكان الولاية من الخدمة العسكرية في منطقة حرب ما لم يُصدر الكونجرس إعلاناً بالحرب فيها. والمقصود بالقانون - كما هو واضح - حرب فيتنام نظراً لأن الولايات المتحدة كما سبق أن ذكرنا لم تعلن على فيتنام الحرب بصورة رسمية .

وصار علم الثوار الفيتناميين الملون بالأحمر والأزرق يُرفع خلال المظاهرات في قلب الولايات المتحدة ذاتها للدرجة أن المتظاهرين في إحدى المدن الأمريكية أنزلوا العلم الأمريكي من أحد الميادين العامة ورفعوا علم الثورة الفيتنامية بدلاً منه احتجاجاً على استمرار الحرب في فيتنام !

وفي ظل استحالة تحقيق نصر عسكري كان الأمل لا يزال معقوداً على نجاح المفاوضات .

المفاوضات من جديد :

كانت السلطات الأمريكية قد بدأت المفاوضات مع الفيتناميين للمرة الأولى خلال ولاية الرئيس جونسون غير أن التفاوض لم يحقق أى نوع من أنواع النجاح ، وجاءت الجولة الثانية من المفاوضات في ولاية الرئيس نيكسون .

وفي ٢٥ يناير (كانون ثاني) ١٩٦٩ بدأت المفاوضات من جديد في باريس بين الأطراف الأربعة المعنية بالأمر : الولايات المتحدة ، حكومة فيتنام الشمالية ، حكومة فيتنام الجنوبية ، ممثلي ثوار الجنوب (الفيت كونج) غير أنما - مثل

سابقتهما - لم تحقق تقدماً ، وزاد على ذلك أن السفير الأمريكي القائم بالمفاوضة باسم الولايات المتحدة استقال من مهمته في نوفمبر (تشرين ثان) ١٩٦٩ ولم تعين السلطات الأمريكية خلفاً له ، وبذلك توقفت المفاوضات المعلنة . لكن الحقيقة أن مفاوضات من نوع آخر كانت تتم بعيداً عن الأعين وكان كسينجر هو المشول الأمريكي عنها .

المفاوضات السرية :

وكانت كل هذه المفاوضات السابقة معلنة يضطر فيها كل من الطرفين للمحافظة على مظهره أمام الرأي العام ، وكان موقف الولايات المتحدة محرّجاً ؛ فقد كان رجال الساسة الأمريكيين لا يزالون يصرون - رغم خسارتهم - على انتظارهم أمام شعبهم بالتحال والكبرياء ، وأنه لايجزؤ أحدٌ على أن يعلى عليهم الشروط وأنهم هم الأقوى وهم الذين يملون الشروط على غيرهم ..

وكان كسينجر يرى أن من الأفضل دائماً السير في طريق آخر يجرب قبل ذلك مرات عديدة في مختلف المواقف وهو " المفاوضات السرية " ، وما يميز هذا النوع من المفاوضات أنه يتم بعيداً عن أى ضغوط للرأى العام .

وكما يقول الرئيس الأمريكي نيكسون :

" ما لم يتم التوصل إلى اتفاق بصورة سرية فإنه لن يكون هنالك ما يمكن الاتفاق عليه في العلن . وبدون السرية لن يشعر أى طرف بحرية تقديم الصيغ للحلول وسط محتملة . " (أمريكا والفرصة الضائعة - ريتشارد نيكسون)

وفي أغسطس (آب) ١٩٦٩ تم اللقاء السرى الأول بين كسينجر والمفوض من فيتنام الشمالية " كسيان ثوى " وبدأت رحلة كسينجر داهية السياسة الأمريكية في التفاوض مع قادة فيتنام الشمالية .

وكان كيسنجر - ووافقته الرئيس نيكسون - يرى أن أفضل ما يمكن التفاوض به هو ما يسمى " دبلوماسية القوة " ومعناها استعمال القوة العسكرية بعنف لإجبار القيادة الفيتنامية على اللجوء إلى التفاوض كحل أفضل ، وهذا يعني أن التفاوض سبدها الولايات المتحدة وهى فى موقف الطرف الأقوى الذى يمكنه إملاء شروطه على الطرف الآخر . وكما يقول كيسنجر فى مذكراته :

" إن نيسكون لم يكن يثق أبداً بمثل هذه المفاوضات ، ولم يكن يخطر بباله إن هانوى (فيتنام الشمالية) تقدم على إجراء اتفاق يرضينا إذا لم نكبتها سلفاً هزائم عسكرية حقيقية . واتضح بعد ذلك إن وجهة نظره صحيحة .. "

(مذكرات هنرى كيسنجر - الجزء الثانى)

وقد أستمع كيسنجر فى طريق التفاوض مع الفيتناميين مع قناعته الثابتة بأنها الوسيلة الوحيدة لإنهاء المعركة ، وقد طالبت هذه المفاوضات لسنوات قبل أن تثمر عن الاتفاق النهائى على الانسحاب الأمريكى مع بداية عام ١٩٧٣ .

الحرب فى لاوس وكمبوديا :

إلى الغرب من دولة فيتنام تقع دولتى لاوس وكمبوديا ، وقد أمتد الفكر الشيوعى حتى صار له أنصار فى كل منهما ، وكان المقاتلون الفيتناميون يقيمون القواعد والمخازن لقواهم فى كلا البلدين .

وكان من الطبيعى أن يناصر الشيوعيون فى كل من لاوس وكمبوديا رفاقهم الثوار فى فيتنام ، وعلى ذلك فقد أمتد عدوان الولايات المتحدة ليشملها فى سبيل منع الشيوعيين من الاستيلاء عليهما من جهة وكذلك لإضعاف موقف المقاتلين الفيتناميين من جهة أخرى .

العدوان الأمريكي على كمبوديا :

بدأت الجيوش الأمريكية عدوانها على دولة كمبوديا مع بداية تولي نيكسون الرئاسة مع مطلع عام ١٩٦٩ ، وكانت الحركة الشيوعية في الشمال الكمبودي تقدم العون من كل نوع إلى مقاتلي فيتنام ..

"ومجرد توليه الرئاسة أمر نيكسون بمجموعة القاذفات ب ٥٢ بقصف كمبوديا بلا توقف على مدى أربعة عشر شهراً ، وقد أخفيت أخبار هذا القصف على الشعب الأمريكي بل اضطرت الحكومة إلى تزييف نتائج الغارات . "

(موجز تاريخ الولايات المتحدة - آلان نيفيتر . هنري ستيل كوماجر)

وفي نوفمبر (تشرين ثان) ١٩٦٩ تعرض معسكر للقوات الأمريكية لإطلاق النار من جهة الحدود الكمبودية ، وكان من المعروف لدى السلطات الأمريكية أن المقاتلين الفيتناميين يحتفظون بمخابئ وطرق تموين لهم في كمبوديا ، فما كان من الولايات المتحدة إلا أن قامت بقصف كمبوديا من جديد بحجة الدفاع عن النفس ، ولكن القصف لم يود الغرض لذا فقد قامت الجيوش الأمريكية بغزو دولة كمبوديا ..

" في الثلاثين من إبريل (نيسان) ١٩٧٠ دفع الرئيس الأمريكي بقواته لغزو كمبوديا المحايدة بحجة أنها منطقة تجمع قوات العدو ، ولأن هذا القرار جاء مخالفاً للقوانين الدولية وللولايات المتحدة ذاتها فقد اضطرت نيكسون للدفاع عنه بقوله " إننا لن نذل أبداً ولن نهزم أبداً ، وإذا تحركت الولايات المتحدة على أنها هذا العملاق العطوف العاجز فإن قوى البغي والاستبداد ستهدد كل الحكومات الحرة والأمم المدافعة عن الحرية " . وبرغم هذا فقد أوجد هذا التوسع الاستبدادي في الحرب حركة انتقادية حادة جداً داخل مجلس الشيوخ الأمريكي . "

(موجز تاريخ الولايات المتحدة - آلان نيفيتر . هنري ستيل كوماجر)

وقد عاث الجنود الأمريكيين في كمبوديا فساداً .. يقول الصحفي بيتر
آرنيت كشاهد عيان على المعركة :

" وفي مدينة سنول الصغيرة الواقعة في الأراضي الكمبودية التي تعرضت
للقصف الجوي وقذائف النابالم الحارقة شاهدت الجنود الأمريكيين وهم يقومون
بسلب ونهب ما في المتاجر من البراندى الكمبودى والأحذية وساعات اليد . وقبل
أن يغادروا المكان كانوا يشعلون النار في البيوت والمتاجر . "

(مذكرات بيتر آرنيت)

وقد تسبب إعلان الرئيس الأمريكى بغزو كمبوديا في مزيد من الاضطرابات
وذلك لأنه لم يكن قد حصل على موافقة الكونجرس ، وكان الرئيس الأمريكى
نيكسون يعتقد أن نجاح المحمة ضد مواقع الفيتناميين في كمبوديا وإن كان سيثير
احتجاجات جديدة على حكومته غير أنه سيساعد على نجاح سياسة الفتنة .

أما البروفوسر هنرى كسينجر الذى أسهم بدور كبير في اتخاذ قرار غزو
كمبوديا فقد كان له رأى آخر ، فقد كان يستنكر بشدة أن تتحمل الولايات
المتحدة أى لوم على هذا الغزو ويقول في ذلك :

" إن عناد الفيتناميين الشماليين حكم على كمبوديا أن تتحمل في هذه الأثناء
الاماً مبرحة .. ونجحت فيتنام الشمالية في جعل نفسها بلداً بريئاً صديقاً للسلام
ضرب بشدة من قبل غرباء قساة ! "

(مذكرات هنرى كسينجر - الجزء الثالث)

فهو يرى أن الولايات المتحدة لم تكن أبداً مخطئة في غزوها لفيتنام بدايةً كما
إنها لم تخطئ كذلك في غزو كمبوديا بل اللوم كل اللوم في المرتين على أهل فيتنام
الأشرار الذين تطلوا وقاوموا الجيوش الأمريكية التى جاءت تسلبهم بلادهم

وأرضهم وحررتهم ، وكان من الطبيعي أن يرحبوا بهم ويلقون عليهم الورد والرياحين ويستقبلوهم استقبال الأبطال الفاتحين !
قصف لاوس :

وكما قصفت الطائرات الأمريكية كمبوديا فقد قصفت لاوس كذلك .
" امتد العدوان الأمريكي ليشمل لاوس أيضاً فقامت الطائرات الأمريكية العملاقة بقصف العديد من المناطق في لاوس بشكل كثيف ، بحجة ألها كانت تشكل قواعد لانطلاق الفيت كونج .. "
(الصراع على العالم - جان النشتاين)

وفي فبراير (شباط) ١٩٧٠ شنت الطائرات الأمريكية غارات عنيفة على أراضي لاوس لضرب مواقع الثوار الفيتناميين وقطع خطوط تموينهم .
ورغم أن اتفاقات جنيف لعام ١٩٦٢ تمنع وجود أى قوات أجنبية في لاوس إلا أن هذه الاتفاقات - كما هو واضح - في زمن الحروب الأمريكية لا تحظى بالاهتمام ، فقد أقامت الولايات المتحدة في مطلع السبعينات قاعدتين عسكريتين في شمال لاوس ثم أعقبتهما بقاعدة ثالثة لها في الجنوب .

وقد ردد بعض المسؤولين في واشنطن تصريحاً مفاده أن لاوس تعتبر أكثر أهمية للولايات المتحدة من فيتنام نفسها مما دفع البعض للسخرية من سياسة الولايات المتحدة على صفحات الجرائد قائلاً : " إن كانت لاوس أكثر أهمية من فيتنام والجيش الأمريكي في فيتنام فاق عددها النصف مليون ، فكيف يا ترى سترسل واشنطن إلى لاوس !

السبعينات وبداية عقد جديد :

كانت الولايات المتحدة قد توقفت عن القصف الجوي لفيتنام الشمالية منذ نوفمبر (تشرين ثان) ١٩٦٨ بإعلان من الرئيس الأمريكي جونسون رغبة في

استمرار المفاوضات ، وعندما حل عام ١٩٧٠ كانت أحبار الغارات التي يشنها الشوار الفيتناميون تتوالى بصورة يومية رتيبة وإن اختلف حجم الهجمة وتفاوتت أعداد الضحايا من الأمريكيين أو من جيش فيتنام الجنوبية الموالي لأمريكا .

وكأنما برع الفيتناميون وتخصصوا في نموذج هجوم التيت فصاروا يكررونه كل عام ربما لأكثر من مرة بصورة مصفرة ، ففي مطلع شهر إبريل (نيسان) عام ١٩٧٠ قام الشوار بشن هجوم صاعق على غرار هجوم التيت استهدف ٢٤٢ موقعاً في ليلة واحدة .

وكان على السلطات الأمريكية أن تبحث عن الرد المناسب لهذا التصعيد لذا فقد قامت الطائرات الأمريكية بأول غارة لها على فيتنام الشمالية في مطلع مايو (أيار) ١٩٧٠ بعد توقف عن قصف الشمال دام قرابة عام ونصف .

وفي أكتوبر (تشرين أول) ١٩٧١ تكرر الأمر عندما هاجم الشوار كل المدن الكبرى في فيتنام الجنوبية بالمدافع في وقت واحد احتجاجاً على انتخابات الرئاسة التي تجرى في فيتنام الجنوبية وكان الرد - كالعتاد - مزيداً من القصف الأمريكي المكثف .

ورغم تكرار عمليات التمرد بين وحدات القوات الأمريكية ، واتساع حركة " رفض مواصلة الحرب " بين صفوفهم ، ومئات التوقيعات التي كانت تصل إلى الكونجرس الأمريكي من الجنود الأمريكيين في فيتنام وآلاف المظاهرات المعارضين لاستمرار المعركة في فيتنام الذين حاصروا البيت الأبيض في نهاية أكتوبر (تشرين أول) ١٩٧١ .

رغم ذلك كله فقد شنت القوات الأمريكية هجوماً جويًا عنيفاً على فيتنام الشمالية قبل أن ينتهي عام ١٩٧١ استمر لخمسة أيام متواصلة ، وأعلنت القيادة

الأمريكية أن الهجوم قد اشتركت فيه ٣٥٠ طائرة وقامت بما يفوق الألف غارة على الشمال الفيتامى.

وبينما كانت السلطات الأمريكية تصعد هجماتها من جهة وتبحث من جهة أخرى عن نهاية مشرفة لهذا المأزق الذى تورطت فيه أقدمت القوات الفيتنامية على عمل عسكري جديد زاد من حرجهم .

ففى ٣٠ مارس (آذار) ١٩٧٢ قامت قوات فيتنام الشمالية بمحوم عاصف تخطوا فيه الخط الفاصل بين البلدين كما تمكنوا من استعادة السيطرة على مناطق استراتيجية هامة

وكبدوا القوات الأمريكية خسائر كبيرة .

ورداً على ذلك استأنفت القوات الأمريكية قصفها الجوى على الشمال وقامت القوات الأمريكية بتلقيم الأنهار بالإضافة إلى تلقيم الميناء الأساسى فى فيتنام الشمالية (ميناء هايفونج) كما تمعدت تدمير الاقتصاد الفيتامى فى الشمال بضرب المدن وتدميرها تديراً تاماً وقصف المدارس ومشاريع المياه والسلود والخزانات .

وكما يعبر هنرى كسينجر فى ضيق وحق عن هذا الموقف بقوله :

" لم يكن لدى حكومتنا الجديدة الفتية رغبة أعز من وضع حد للأعمال العدوانية . رغبة أحاب عليها الفيتناميون الشماليون بتصعيد قتال متعمد منسقين - بمهارة - أعمالهم العسكرية . "

(مذكرات هنرى كسينجر - الجزء الثانى)

"وفى إبريل (نيسان) أعلن عن استئناف القصف رسمياً ضد أهداف داخل أراضي فيتنام الديمقراطية ، بحجة الانتقام من الهجمات العسكرية الواسعة فى الجبهة

الجنوبية ، وفي مايو (أيار) تم تلقيم الموانئ الشمالية وحصارها بأوامر شخصية من الرئيس نيكسون ، وأعلن البتاجون بكل صراحة أن كل الأهداف الفيتنامية ستكون مباحة أمام قاذفات طائرات ب ٥٢. موجات القصف الجوي والتلقيم استؤنفت في أواخر يونيو (حزيران) وفي أكتوبر (تشرين أول) لكن أكثرها ضراوة وقعت في الفترة من ١٨ إلى ٢٩ ديسمبر (كانون أول) . "

(التجربة العسكرية الفيتنامية - على فياض)

" صبت القوات الأمريكية بين ١٨ و ٣٠ ديسمبر (كانون أول) ١٩٧٢ خلال غارات مكثفة ٤٠ ألف طن من القنابل على مدينة هانوي عاصمة الشمال ذهب ضحيتها ١٣١٨ قتيل و ١٢١٦ جريح من سكانها المدنيين . "

(معجم الحروب - فردريك معقوق)

وأجمع المحللون على أن القيادة الأمريكية كانت تهدف من وراء هذا التصعيد إلى الضغط بأكثر قوة ممكنة على السلطات الفيتنامية في الشمال لقبول الحلول السياسية هرباً من الجحيم الذي تسببه المعركة لجيوشها .. وكان الفيتناميون يعلمون أن الهجمة إنما هي عقاب لهم على عدم استجابتهم للمطالب الأمريكية وضغطة تدفعهم للاستسلام لكنهم لم يستلموا ..

" في باريس ومع بداية ديسمبر (كانون أول) ١٩٧٢ لم تسفر المحادثات بين الفيتناميين والمفاوض الأمريكي عن أى تقدم، وفي الثالث عشر من ديسمبر (كانون أول) هدد كينجر بأتهم سيدأون القصف المكثف في خلال ثلاثة أيام إذا لم يد المفاوض الفيتنامي تجاوباً مع التصور الأمريكي .. وفي الرابع عشر من ديسمبر (كانون أول) تم استدعاء كينجر لمقابلة هامة في البيت الأبيض أخيره الرئيس نيكسون فيها عن إعلانه بدء قصف هانوي بطائرات ب ٥٢

العملاقة بعد ثلاثة أيام .. وخلال هذه الهجمة أسقطت طائرات ب ٥٢ أكثر من ٣٥ ألف طن من القنابل على الشمال الفيتنامي .. وإن كان خلالها كذلك أسقط الفيتناميون ٨١ طائرة أمريكية منها ٣٤ طائرة من طراز ب ٥٢ كما أسروا ٤٠ طياراً أمريكياً . "

(نقلاً عن كتاب (The 30-year war)

ولكن هذه الهجمة الأمريكية الشرسة كانت هي الأخيرة من نوعها ، أو كما وصفها البعض كانت المشهد الأخير لاستعراض " القوة " الأمريكية .

الانسحاب الأمريكي :

ومع مطلع عام ١٩٧٣ كانت المفاوضات الفيتنامية - الأمريكية تسير حثيثاً وتعتشر أحيان أخرى . ومن جديد هدّد الرئيس الأمريكي نيكسون باستخدام الأسلحة الذرية إذا لم تنجح المفاوضات في التوصل إلى حل ينهي القتال .

وفي منتصف يناير (كانون ثان) ١٩٧٣ أعلن الرئيس الأمريكي الوقف الكلى للغارات الجوية والعمليات الهجومية على فيتنام الشمالية تمهيداً لاتفاقات السلام التي تبحث المفاوضات في التوصل إليها .

وأخيراً .. أخيراً في ٢٧ يناير (كانون ثان) ١٩٧٣ في العاصمة الفرنسية باريس تم توقيع اتفاق سلام بين أطراف أربعة هي : فيتنام الشمالية ، جبهة التحرير الوطنية (فيت كونج) ، الولايات المتحدة ، حكومة فيتنام الجنوبية . وقد شهد على اتفاقات السلام المعقودة الصين وفرنسا وبريطانيا والاتحاد السوفيتي .

" وفي نهاية الأمر ، وتحت ضغط الرأي العام الأمريكي والانتصارات المذهلة لقوات جبهة التحرير الوطني لجنوب فيتنام بدعم من الشيوعيين في الشمال

اضطرت الولايات المتحدة إلى توقيع اتفاقية في باريس في ٢٧ يناير (كانون ثان) ١٩٧٣ وبموجبها انسحبت القوات الأمريكية من جنوب فيتنام "

(موجز تاريخ آسيا الحديث والمعاصر - د. ميلاد أ. المقرحي)

وعمقتضى هذا الاتفاق بدأت الجيوش الأمريكية في الانسحاب من فيتنام والعودة من حيث أتت ، واستغرق انسحابها نحو عشرين شهراً من تاريخ توقيع الاتفاق .

وبانسحاب الجيوش الأمريكية صارت حكومة الجنوب مشولة وحدها عن التصدى والصمود أمام قوات الشمال الفيتنامي وقوات الفيت كونج ، لكن الولايات المتحدة لم تدعها تقف بغير مساندة ..

" وطبقاً لهذه المعاهدة فقد تعهدت الولايات المتحدة بسحب قواتها من فيتنام على أن تستمر في سد احتياجات سايجون من السلاح والمعدات . وقد خلفت أمريكا وراءها في الجنوب عتاداً كان يمكن أن يحيل فيتنام الجنوبية إلى واحدة من أكبر الدول البحرية في العالم ورابع أكبر جيش وسادس قوة جوية في العالم كله . "

(موجز تاريخ الولايات المتحدة - آلان نيفير . هنري ستيل كوماجر)

ولكن كل هذا العتاد لم يمنع احتياح جيوش فيتنام الشمالية للجنوب الفيتنامي لتحقيق الوحدة بعد أن انسحبت الجيوش الغازية .

نهاية الصراع الفيتنامي وإعلان قيام فيتنام الموحدة :

" وفي ٣٠ إبريل (نيسان) ١٩٧٥ دخل الشماليون وحلفاؤهم من الجنوبيين إلى سايجون . وانتهى بذلك صراع خمسة وعشرين عاماً من أجل قيام دولة فيتنامية مستقلة ، أما بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية فإن العشرين عاماً من

التدخل والحرب في فيتنام لم تكن فقط بمثابة هزيمة عسكرية فحسب وإنما كانت كارثة سياسية ودبلوماسية ونفسية ومعنوية . "

(موجز تاريخ الولايات المتحدة - آلان نيفير . هنري ستيل كوماجر)

وفي ٢ يوليو (تموز) ١٩٧٦ أعلن قيام جمهورية فيتنام الاشتراكية الموحدة بعد مرور ٢٢ سنة على تقسيم البلاد .

أما الدولة الموحدة الجديدة فقد أصبحت هانوي عاصمتها بعد أن كانت عاصمة الشمال ، كما أخذت الدولة الجديدة كذلك علم الشمال ونشيد القومى والعمله الشماليه ، وشغل الشماليون كل المناصب الحكوميه الكبرى .

أما سايجون عاصمة الجنوب فقد مُحى اسمها من الخريطة وحلت اسمها الجديد

" هوشى منه " نسبة إلى الزعيم الفيتنامى الذى قاد النضال وتوفى في أثناء المعركة

في سبتمبر (أيلول) عام ١٩٦٩ .

وهكذا انتهت هذه المعركة ذات الأرقام المذهله . " وقد أحصيت القتابل التى ألفت على فيتنام من قبل الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب فبين أن ما ألقى على فيتنام الشماليه يزيد بثلاث مرات عما ألقى خلال الحرب العالميه الثانيه بالكامل .. كما استخدمت الولايات المتحدة قتابل النابالم المحرمة دولياً ، كما استخدمت الغازات السامة والقتابل البيولوجيه .. "

(الصراع على العالم - جان النشتاين)

" بلغ ما أسقط من قنابل فوق فيتنام أثناء حكم نيكسون الذى استمر ثلاث سنوات فقط كل ما اسقط من قنابل فوق آسيا وأوروبا مجتمعين فى الحرب العالمية الثانية "

(موجز تاريخ الولايات المتحدة - آلان نيفير .هنرى ستيل كوماجر)
وحسب ما أعلته وزارة الدفاع الأمريكى (البتاجون) فى وقتها وتناقلته وسائل الإعلام - ونشرته جريدة الأهرام المصرية - وقتها أن وُزن القنابل والمستفجرات التى أسقطتها الولايات المتحدة على أراضي فيتنام الشمالية وقواعد الثوار فى فيتنام الجنوبية بلغت ٧ ملايين و ١٠٠ ألف طن بخلاف الصواريخ ..
" إن عدد القنابل التى أُلقيت أثناء حملة التآديب هذه (على دول الهند الصينية كلها) يُقدر بحوالى ٢٨٥ مليون قنبلة وصاروخ ، مما يعنى أن نصيب الفرد الواحد من شعب منطقة الهند الصينية هو ٧ قنابل ! "

(حضارة الدم وحصادها - نزار بشر)
" والحصيلة النهائية تضع حرب فيتنام فى طليعة الحروب من حيث دمارها ونتائجها المادية والمعنوية ، وعلى الصعيد كافة فقد كانت إحدى أشرس وأقصى وأكثر الحروب التى شهدتها القرن العشرين تكلفة . "
(معجم الحروب - فردريك معقوك)

ختم القصة

لاشك أنك تود أن تعلم ماذا حدث في فيتنام بعد ذلك ، فبعد أن انسحبت الجيوش الأمريكية ودخلت جيوش الشمال إلى الجنوب الفيتنامي وأسقطوا حكومة فيتنام الجنوبية العميلة توحدت البلاد بكاملها تحت سيطرة الشمال الشيوعي .
وفي ٦ يوليو (تموز) ١٩٧٦ أعلن قيام جمهورية فيتنام الاشتراكية الموحدة وعاصمتها هانوى

وقد انضمت جمهورية فيتنام الاشتراكية إلى الأمم المتحدة بعد هذا التاريخ بعامين .

علاقة فيتنام بالولايات المتحدة :

رغم أن فيتنام الموحدة صارت دولة معترف بها دولياً ولها مقعد في الأمم المتحدة غير أن الولايات المتحدة عارضت عضويتها كما ألها لم تعترف بها كدولة ، وإلى جانب ذلك فقد فرضت الولايات المتحدة على فيتنام عقوبات اقتصادية .

وقد ظل هذا الوضع قائماً حتى بدأت المفاوضات بين البلدين من أجل تطبيع العلاقات بينهما ، وكان من أولى نتائج هذه المفاوضات أن سحبت الولايات المتحدة معارضتها لمعضوية فيتنام في الأمم المتحدة ثم جاء رفع العقوبات الاقتصادية بعد ذلك .

وكانت قضية الجنود الأمريكيين المفقودين لا تزال هي الشغل الشاغل للسلطات الأمريكية ، وفي عام ١٩٩١ فتحت الولايات المتحدة مكتباً دبلوماسياً

لها في "هانوي" لتنسيق البحث عن القوات الأمريكية التي فقدت في "فيتنام" ، واعتبرت الإدارة الأمريكية أن العلاقات بين الولايات المتحدة وفيتنام لن تصبح طبيعية إلا إذا قامت فيتنام بإعطاء معلومات كاملة عن الجنود الأمريكيين المفقودين في بلادهم منذ زمن الحرب .

وأخيراً في يوليو (تموز) ١٩٩٥ أعلن الرئيس الأمريكي "بيل كلينتون" تطبيع العلاقات الدبلوماسية بين الولايات المتحدة وفيتنام .

فيتنام والبيرويل الفضى : وعندما حل عام ٢٠٠٠ وافق ذلك البيرويل الفضى للانسحاب الأمريكي ودخول القوات الشمالية إلى الجنوب الفيتنامي عام ١٩٧٥ ، وهذه المناسبة شهدت البلاد احتفالات ضخمة ، وأفرجت السلطات الفيتنامية عن إثني عشر ألفاً من السجناء احتفالاً بهذه المناسبة القومية .

ورغم أن العلاقات بين فيتنام والولايات المتحدة كان قد تم تطبيعها عام ١٩٩٥ إلا أن التبادل التجاري بين البلدين لم يكن قد تم حسمه بعد ، وقد استمرت المفاوضات لخمس سنوات كاملة بخصوص قضية التبادل التجاري وفي الثالث عشر من يوليو عام ٢٠٠٠ تم توقيع اتفاق تجاري بين الطرفين .

وفي نوفمبر ٢٠٠٠ (تشرين ثان) قام الرئيس الأمريكي بيل كلينتون في ختام فترة رئاسته بزيارة تعد تاريخية لفيتنام كأول رئيس أمريكي يقدم على زيارة فيتنام منذ الحرب الأمريكية الفيتنامية . ولأول مرة منذ ربع قرن يُرفع العلم الأمريكي إلى جوار العلم الفيتنامي كما تم عزف السلام الجمهوري الأمريكي بمناسبة زيارة الرئيس الأمريكي . وقد استقبل الشعب الفيتنامي الرئيس الأمريكي بحفاوة شديدة ، غير أن الصحفيين بادروه بالسؤال - بمجرد أن قابله - عن إمكانية تقديم الولايات المتحدة اعتذاراً رسمياً للشعب الفيتنامي عما ارتكبهت الولايات المتحدة في حقّه خلال سنوات الحرب مما سبب له حرجاً شديداً ولاذ بالصمت . وقد دعا

تستعالي منذ الحرب العالمية الثانية تندد بهذه العبارة وتنادى بضرورة أن تمحى من قاموس الحروب ، وقد تكونت كثير من الجمعيات والمنظمات التي تطالب بإعادة النظر في جرائم الحروب باعتبارها جرائم مثل كل الجرائم الأخرى بل أشد لأنها تُمارس ضد أعداد كبيرة وليست ضد أفراد مما يجعل من يرتكبها أو من يشارك فيها مستحقاً للإدانة والعقاب . وفي فيتنام قامت الجيوش الأمريكية بقتل المدنيين وإبادة القرى وإحراق الغابات كما خلفت وراءها ملايين الفيتناميين المتضررين من السموم الأمريكية ..

وكل هذه الأفعال تندرج تحت ما يسمى بجرائم الحرب ، فمن الذى سيدان في هذه الجرائم ؟ الحقيقة إن قائمة من شاركوا في هذه الجرائم طويلة تضم عدداً كبيراً من السياسيين الحاليين والسابقين ، وعلى قمة هذه القائمة البروفيسر هنرى كيسنجر . وقد قام أكثر من شخص من جنسيات متعددة - لم يصل لعلنى أن أحداً منهم عربى - بتقديم طلبات للمحاكم الدولية بضرورة مثول كيسنجر للتحقيق بصفته كان مستشاراً للرئيس الأمريكى نيكسون في الفترة ما بين عامي ١٩٦٩ و١٩٧٣ وحتى مسئولاً بصفة شخصية عن الحرب سواء في فيتنام أو في كل من لاوس وكمبوديا . ومن المثير أن نشير إلى أن هذه التهمة ليست الوحيدة في ملف كيسنجر بل هي واحدة من ست قمم موجهة إليه عن جرائم مشابهة في شيلي وبنجلاديش ، وقد وصل الأمر لدرجة أنه في أثناء زيارته لبريطانيا لإلقاء محاضرة طالب بعض النشطاء الإنجليز باتخاذها فرصة للإمساك به واعتقاله ! أما رجال السلطة الحاليين فمن المعروف أن أغلبهم كان له دور - كبير أم صغر - في الحرب الفيتنامية ، ونذكر منهم على سبيل المثال وزير الخارجية الأمريكى كولن باول الذى شارك في الحرب الفيتنامية ، وفي كتاب صدر له عن سيرته الذاتية بعنوان "رحلتى الأمريكية" يتحدث كولن باول بكثير من الصراحة والصدق عن

هذه المرحلة من حياته التي لا يأسف عليها - كما يقول - ما دام كان يطيع رؤسائه ! فهو يحكى كيف كانوا يدمرون القرى ويحرقون المحاصيل ويرشون الغابات بالمبيد السام ويرون بأعينهم كيف تتحول النباتات الخضراء فى لحظات إلى اللون البنى الذابل .. لكنه فى النهاية يقول : " لم يورقنى ضميرى لحظة على احراق قرى فيتنام " !

وبالتأكيد عندما يُعاد النظر فى جرائم الحروب باعتبارها جرائم لها عقاب مثل كل الجرائم الأخرى ستكون هناك قائمة طويلة من الساسة الأمريكيين فى انتظار العقاب المناسب لهم .

عقدة فيتنام :

تركت الحرب الفيتنامية أثراً غائراً فى المجتمع الأمريكى بأكمله ، فظهرت الأعراض النفسية على الجنود - وكذلك على الأفراد العاديين - تعكس حالة من عدم الشعور بالأمان . وقد ظلت الأفلام السينمائية الأمريكية زمنياً تعرض للحرب الفيتنامية ضمن أحداثها ويظهر بها الجحيم الذى تعرضت له الجيوش الأمريكية وسط أحراش فيتنام التى يتصاعد من جنباتها ألسنة النار التى تصل إلى عنان السماء حتى أنها تطول الطير فى السماء فتحرقه ، والجنود فى داخلها كالجردان داخل المصيدة لا يكاد الواحد فيهم يطمئن لموضع قدمه إن كان سيظا الأرض سالماً أم سيسقط فى كمين .

وقد ظلت عقدة فيتنام تلاحق الشعب الأمريكى فضلاً عن أفراد الجيش من الجنود أو القيادات العسكرية ذاقها رغم المحاولات المتعددة التى قامت بها الدولة لإزالة هذه الذكرى المؤلمة من نفسية أفراد الشعب ، ففى أعقاب المعركة تم طرح عدد كبير من الأفلام التى تمجد فى المحارب الأمريكى الشجاع الذى لا يخاف من

الأهوال مهما تكاثرت عليه بل أن منها ما مس العصب مباشرة بعرض قصة الكتيبة الأمريكية التي حققت نصراً موزراً في حرب فيتنام نفسها أو الجندي الأمريكي الذي عاد لفيتنام بعد نهاية الحرب لإنقاذ زميل له أو انجاز مهمة ما . وتتنال المشاهد وهو يفرغ رشاشه في جموع الفيتناميين الذين يتساقطون أمامه بالعشرات صرعى من غير أن يتمكن أحدهم من أن يلحق بالأمريكي بمجرد خلدش بسيط !

هذا على المستوى الشعبي أما بالنسبة للسياسيين الأمريكيين فقد صار لديهم حالة من الرفض لأي شكل من أشكال التورط العسكري للولايات المتحدة في نزاعات العالم الثالث حتى إن كثيرين أطلقوا على هذه الأعراض Vietnamic Syndrome ومعناها الحرقى الأعراض الفيتنامية أو ما أشتهر باسم " عقدة فيتنام " . وعقب التسوية التي تمت عام ١٩٧٣ ظلت الإدارة الأمريكية ملتزمة للصمت لسنوات تجاه ما يحدث على الساحة الدولية ، وبقي الوضع كذلك حتى نهاية السبعينات للدرجة أن كثيراً من الأمريكيين أنفسهم انتقدوا هذا الصمت .

" مع اقتراب السبعينات من نهايتها أصبح عدد أكبر فأكبر من صانعي السياسة الأمريكية ينظرون إلى موقف عدم التدخل هذا باعتباره قيداً غير محتمل على قوة الولايات المتحدة في وقت يزداد فيه حجم التحديات للمصالح الأمريكية في الخارج .. وبالنسبة لهؤلاء النقاد فإن عدم تورط الولايات المتحدة في أنجولا وأثيوبيا وإيران يشكل علامة على الضعف الأمريكي أكثر منه سياسة محسوبة لضبط النفس .

إن فيتنام سببت فقدان الثقة في قدرة الولايات المتحدة على الدفاع عن الأنظمة غير الشيوعية في بلدان العالم الثالث ضد الانقلابات التخريبية والعسكرية التي يقوم بها حلفاء موسكو .. " (ما بعد عقدة فيتنام - مايكل كلير)

يقول الرئيس الأمريكى نيكسون :

" فى أواخر السبعينات كان نوع من عدم الشعور بالراحة يلف أفراد النخبة المسيطرة فى الولايات المتحدة . كانت ثقة أمريكا بنفسها محطمة . وبدلاً من أن تصنع التاريخ كانت أمريكا تتلقى إملاءات الأحداث . "

(أمريكا والفرصة التريخية - ريتشارد نيكسون)

وعلى ضوء هذه المعلومات يمكننا أن نفهم معنى الدعاية الانتخابية التى فاز بها الرئيس الأمريكى رونالد ريجان عام ١٩٨٠ ، فقد اعتمد فى دعايته على أنه سيجعل استعادة قوة أمريكا هى الأولوية رقم (١) عنده . وعندما نجح بالفعل فى انتخابات الرئاسة كانت أولى خطواته فى البيت الأبيض هى زيادة ميزانية الدفاع والتدخل بمششارين عسكريين فى السلفادور للمرة الأولى بعد حرب فيتنام ، وقد قوبلت هذه الخطوة بالنقد الحاد ممن يتخوفون من فيتنام جديدة لكن الغلبة فى نهاية المطاف كانت لنداء القوة .

وبادر وقتها أكثر من مسئول أمريكى - منهم وزير الدفاع الأمريكى نفسه - بالتصريح بأن الولايات المتحدة يجب أن تكون مستعدة للاشتراك فى أى حرب ما دامت تتعلق بمصالحها الحيوية .. وبذلك حاولت الولايات المتحدة الخروج من قيد " عقدة فيتنام " مع بداية الثمانينات وشاركت بالفعل فى أكثر من دولة ، لكن الحقيقة أن الذى يتبع الحملات العسكرية التى قامت بها الولايات المتحدة بعد حرب فيتنام يلاحظ بوضوح مدى التردد والإحجام لدى القيادة العسكرية فى اتخاذ أى قرار يودى بالجنود الأمريكيين للدخول فى مواجهة مع الجهة التى يحاربونها .

كيف نجح الشعب الفيتنامي؟

مقارنة بين التجربة الفيتنامية والتجربة العربية في فلسطين

لا شك أن بين التجربة الفيتنامية والتجربة العربية في فلسطين أو في العراق أوجه كثيرة للتشابه وإن كان هناك كذلك بالتأكيد أوجه أخرى للإختلاف .

ففيتنام دولة من العالم الثالث الذى ننتمى إليه ، والشعب الفيتنامى شعب فلاح يعتمد أفراداه على الزراعة بصورة أساسية مثله كأهل مصر أو فلسطين ، وقد حل عليه الاحتلال الفرنسى في أواخر القرن التاسع عشر في نفس الوقت الذى عانت فيه معظم البلدان الضعيفة في أفريقيا وآسيا من الاحتلال الأوروبى .

وعندما ننظر إلى الاحتلال الفرنسى لفيتنام فلا بد وأن يستلفت أنظارنا التشابه الكبير بينه وبين الاحتلال الإنجليزى في مصر مثلاً ؛ فقد دخلت الجيوش الفرنسية إلى فيتنام في نفس التوقيت الذى دخلت فيه جيوش بريطانيا مصر لاحتلالها ، وإذا كان الشعب المصرى هب للدفاع عن أرضه وبلاده فثار يقاوم جيوشهم الغازية وتعددت صور المقاومة حتى نجح في نهاية المطاف أن يجلبهم عن بلاده في مطلع خمسينات القرن العشرين بعد سبعين عام من الاحتلال فالاحتل الفرنسى كذلك في فيتنام لاقى نفس المصير في نفس التوقيت تقريباً ، وإن كانت للمحتل البريطانى اليد الطولى في فصل وادى النيل إلى دولتين هما مصر والسودان بعد أن كانتا جسد واحد ودولة واحدة فالاحتل الفرنسى كذلك لم يدع فيتنام إلا بعد أن شطرها إلى قسمين شمالى وجنوبى ، غير أن أهل فيتنام قبل أن يفرحوا

بجلاء الفرنسيين عن بلادهم انقضت عليهم الجيوش الأمريكية الغاشمة وألقت بكل ثقلها عليهم .

أما عن نقاط الاختلاف فيكفي أن ننظر إلى الفارق الكبير بين حشود أمريكية محتلة بهدف الاستعمار والسيطرة وبين جموع الصهاينة القادمين للاستيطان والإحلال محل أهل البلاد الأصليين ، فهو استعمار لا يهدف فحسب إلى الإحتلال والسيطرة وإنما إلى طرد السكان من بلادهم وتفرغ الأرض من ساكنيها وجلب المزيد من الصهاينة ليحلوا محلهم وكما يقول المحللون أن الاستعمار الصهيوني هو استعمار استيطاني إحتلالى .

ولعله من المثير - وبخاصة للأجيال الجديدة التى لم تشهد هذه الحقبة - أن نتحدث عن موقف مصر والبلدان العربية من القضية الفيتنامية فى ذلك الحين :

ففى ١٩٤٨ تلقى أمين عام جامعة الدول العربية رسالة من مسئول فيتنامى فى رئاسة وزراء جمهورية فيتنام يناشده فيها أن تقف جامعة الدول العربية بجانب شعب فيتنام فى كفاحه ضد الاستعمار . وكان من نتائج هذه الرسالة أن أعلن مجلس الجامعة أن العرب يعطفون على قضية فيتنام وأنهم سيقفون بجانب الشعب الفيتنامى عند عرض قضيته على الأمم المتحدة .

وفى مصر كان التعاطف بين البلدين واضحاً جلياً ، وكانت السلطات المصرية ترى أن الكفاح الشعبى ضد المحتل يربط بين مصر وفيتنام ، وبخاصة أن كل منهما يدين بالفكر الاشتراكى ويدور فى الفلك السوفيتى ، ولذلك فقد ظلت الصحف تتابع تفاصيل المعارك بين الشعب الفيتنامى والجيوش الأمريكية المعتدية بحيث أن صفحة أخبار العالم فى مختلف الجرائد المصرية فى السنين وبدايات السبعينات قبل الوصول للاتفاق لم تكن تخلو ولو ليوم واحد من أخبار فيتنام .

كما ظل لمصر ممثل في فيتنام يقوم بأعمال السفارة المصرية في هانوى أثناء فترة المعركة .

وقد جمعت مقاومة الاحتلال بين البلدان المقاومة للاستعمار في مختلف القارات ، وفي إبريل (نيسان) ١٩٥٥ تم عقد مؤتمر للشعوب الأفريقية والآسيوية حضره ٢٩ من قادة وزعماء مختلف الدول الأفريقية والآسيوية في مدينة باندونج باندونيسيا

وبناء على هذا المؤتمر الشهير تكونت منظمة تضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية على أن يكون مقرها بالقاهرة ، وقد عقدت المنظمة أول مؤتمر لها في القاهرة بتاريخ ٢٦ ديسمبر (كانون أول) ١٩٥٧ .

عندما انعقدت المفاوضات الأمريكية الفيتنامية لأول مرة في باريس عام ١٩٦٨ أرسلت المنظمة وفداً إلى باريس للتعبير عن الوقوف إلى جانب الشعب الفيتنامي في المحادثات ، وعقب زيارة الوفد عقدت المنظمة المؤتمر الطارئ لتأييد نضال الشعب الفيتنامي في القاهرة في السابع من سبتمبر (أيلول) ١٩٦٨ والذي استمر لثلاثة أيام ، وفي ختامه ناشد المؤتمر الشعوب الحرة أن تزيد من مساعدتها لمساعدة الشعب الفيتنامي المناضل .

" وقد سجل هذا المؤتمر الذي حضره ستون وفداً من آسيا وأفريقيا ودول أوروبا الاشتراكية بالإضافة إلى ممثلين من المنظمات الوطنية والمعادية للاستعمار نجاحاً باهراً في اكتساب تأييد واسع النطاق للقضية الفيتنامية .. "

(١٢ عاماً من التضامن الأفريقي الآسيوى - من مطبوعات المنظمة)

وكانت مصر قد أوفدت وكيل مراقبة البرامج الإخبارية ومعه مصور في بعثة إلى فيتنام حيث قضيا ٤٥ يوماً في صحبة المحاربين الفيتناميين ، وخلال الأيام

الثلاثة التي انعقد فيها المؤتمر قام التلفزيون المصرى بإذاعة الأفلام التي قاما بإعدادها .

وعندما مات هوشي منه في الرابع من سبتمبر (أيلول) ١٩٦٩ أرسلت وزارة الخارجية المصرية عزاءها عبر مندوبها القائم بأعمال السفارة المصرية في هانوى كما توجه وزير الخارجية المصرى بنفسه إلى السفارة الفيتنامية في القاهرة للعزاء . وظلت الصحف لأيام تحدث عن القائد الأسطورى الذى نجح في قيادة شعبه للخلاص من الاستعمارين الفرنسى أولاً ثم الأمريكى ثانياً .

وحين أعادت الجيوش الأمريكية على لاوس في إبريل (نيسان) ١٩٧٠ ذهب وفد من المنظمة لزيارة لاوس وشاركت فيه مصر ، كما انعقد مؤتمر للنضامن مع شعب لاوس في نضاله في القاهرة بتاريخ ١٩ مايو (أيار) ١٩٧٠ أى قبل مرور شهر على العدوان الأمريكى على لاوس .

أول صحفى مصرى وعربى في فيتنام :

في مارس (آذار) ١٩٦٥ تم عقد مؤتمر من مؤتمرات النضامن الأفريقى الآسيوى في مدينة باندونج ، وقد حضره الصحفى المصرى الأستاذ صبرى أبو الجحد بصفته أول أمين عام لإتحاد الصحفيين العرب ، واستغل الأستاذ أبو الجحد فرصة هذا المؤتمر ليتوجه بعدها إلى هانوى عاصمة فيتنام الشمالية وكان بذلك هو أول صحفى عربى يصل إلى فيتنام ، وكان لقاء أهل فيتنام به شديد الحرارة ، وعلى درجة عظيمة من الحفاوة والتكريم . يقول الأستاذ صبرى أبو الجحد :

" لقيت عدداً من كبيراً من الصحفيين والإذاعيين والكتاب والشعراء والأدباء جاءوا يحملون في أيديهم باقات من الورود المبللة بالأمطار لاستقبال أول صحفى عربى يتزل أرضهم .. "

(فيتنام شعباً ونضالاً - صبرى أبو المجد)

وقد قضى الأستاذ أبو المجد في فيتنام عدة أسابيع كتب بعدها كتاباً عن كفاح الشعب الفيتنامي أسماه " فيتنام شعباً ونضالاً "

وعندما أعلنت الثورة الفيتنامية في الجنوب " الفيت كونج " عن قيام دولة لها كانت مصر من أوائل الدول التي أعلنت اعترافها بالدولة الجديدة وتأييدها الرسمي لها .

وأخيراً عندما تم توقيع الاتفاقية النهائية بين فيتنام والولايات المتحدة التي كرست انتصار شعب فيتنام على الجيوش الأمريكية المعتدية تجلت الفرحة في الخطاب الإعلامي المصري الذي كان وقتها لا يزال مثقلاً بجراح هزيمة ١٩٦٧ ، فراح الجميع يهتفون الشعب الفيتنامي بحرارة ومحة تلقائية ، أما على المستوى الرسمي فقد أرسل مجلس الدفاع العربي المشترك تهنئة إلى الشعب الفيتنامي الذي حقق حلمه بالتحريض .

" المواطن العربي استقبل ولاشك أخبار الانتصارات الفيتنامية بفرحة ، إذ شعر - وهو شبه المقعد - أن الفيتناميين يثأرون لهزيمته ويستعيدون له بعض أمله .. "

(التجربة التاريخية الفيتنامية - ياسين الحافظ)

أما بالنسبة للقيادات الفلسطينية فقد كانت ترى في الكفاح الفيتنامي نموذجاً بمائل الكفاح الفلسطيني، وانتصاره يبعث فيهم الأمل بالنصر بدورهم . ولذلك فقد أرسلت منظمة فتح وقتها عدداً من الوفود لزيارة فيتنام والتباحث مع قادهم ، وتكررت زيارات ياسر عرفات إلى فيتنام حيث كان يحضر المؤتمرات الشعبية في العاصمة هانوى ويشارك فيها مناصراً الكفاح الفيتنامي ومتحدثاً عن الكفاح

الفلسطيني . كما كانت النشرات التي تصدر عن مختلف الجهات الفلسطينية تتناول بصورة متكررة أحداث المعارك الفيتنامية ومراحل تطور الأوضاع فيها . والحقيقة أن هذا الانتصار للشعب الفيتنامي الفقير المتواضع أمام أكبر قوة غاشمة في العالم كان مفاجأة أذهلت الجميع ، على أن أول المذهولين كانوا هم رجال الساسة في الولايات المتحدة ذاقها .

" عندما بدأ الأمريكيون حرهم العدوانية في فيتنام لم يكن يدور في خلد أى مسئول أمريكي صغيراً كان أم كبيراً أن الحرب هناك ستكون طويلة ومكلفة إلى هذا الحد ، وبأنها ستنتهى بهزيمة مروعة لجنرالات البتاجون لأن ثقة الأمريكيين في إمكاناتهم الهائلة وتقدمهم العلمى الكبير وأسلحتهم المدمرة كانت أكبر من أن تسمح لهم بأدنى شك في نتائج تلك الحرب .. "

(استراتيجية التفاوض في التجربة الفيتنامية - على فياض)

فما هى الأسباب وراء هذا الانتصار الرائع ؟ وماذا ينقصنا كى نحقق نصراً على غرار هذا النصر في العراق أو فلسطين ؟ هذا ما سنحاول أن نتعرض له بصورة مبسطة في السطور القادمة إن شاء الله.

النموذج الفيتنامي

• البطولة الشعبية في المعركة :

كانت بطولية المقاتل الفيتنامي في القتال مثار دهشة العالم كله ودهشة الأمريكيين وبخاصة حين يعقدون المقارنة بين الفيتناميين وبين جنودهم الذين يفرون من المعركة ملغورين يستجلون الرحمة من قاذم كى يدعوهم ليعودوا إلى بلادهم .

" صمد الفيتاميون بقوة أمام آلة الحرب الأمريكية .. مع استخدامهم مختلف أنواع الأسلحة المدمرة فاستخدمت القنابل الانشطارية ، كما استخدمت القنابل الحارقة .. واستمر الصمود الفيتامى بشكل أشد وأعنف . فقد اعتادوا كل شيء .. دون كلل أو ملل ، بل كانوا يزدادون عزماً وتصميماً على وحدة أراضهم وشعبهم مهما كلفهم الأمر من ثمن . "

(الصراع على العالم - جان النشتاين)

ولم يكن المقاتل الفيتامى بالضرورة جندى يرتدى ملابس حربية بل لقد تحول الشعب الفيتامى كله إلى جند متفانين فى القتال .

" اعتمد الثوار على الشعب ، واصبح من الصعب التمييز بين المقاتل الثورى والفلاح العادى فى فيتنام الجنوبية . "

(تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية - د. سليمان نوار)

وكانت هذه الحقيقة هى التى أكدها الجنرال جياب وزير الدفاع الفيتامى والمسئول العسكرى عن النصر الفيتامى حين قال :

" أكبر خطأ ارتكبه الفرنسيون أنهم ظنوا أنهم يحاربون جيوشنا ولم يتوقعوا أنهم يحاربون جموع شعبنا ، وكذلك اليوم يرتكب الأمريكيون نفس الغلطة عندما ينسون الشعب ، وعندما يعتمدون على الطيارات والدبابات . "

(نقلاً عن كتاب هوشى منه الزعيم الأسطورى - جورج عزيز)

وكما يقول الأستاذ ياسين الحافظ :

" فى فيتنام تحول الناس البسطاء إلى صنّاع للتاريخ ، وملكوا القدرة على التدخل فى شئون بلدهم ، رغم كل التدمير استمرت الحقول تزرع واستمرت

أعمال البحث والتعليم الجامعى ، ووسائل المواصلات كانت تُصلح بسرعة إثر كسل غارة .. هذه النتائج ما كان ممكناً بلوغها لو أن القرارات كانت فحسب قرارات الفوق وليست قرارات الناس البسطاء .^١

(التجربة التاريخية الفيتنامية - ياسين الحافظ)

وقد نجح القائد هوشى منه فى إثارة التنافس بين أبناء الشعب الفيتنامى فكان يحرص على الإشادة بالمتفوقين وأصحاب الأرقام المميزة فى خطاباته فيجيب فى خطابه الطفل الذى قتل ١٤ أمريكياً والمرأة التى لغمت أنحاء بيتها ثم أبلغت الجنود الأمريكيين عن وجود مقاتلين من الثوار فى البيت لتنفجر الألغام فى وجوههم بمجرد دخولهم إليه ..

ولم تكن بطولة الشعب الفيتنامى فى القتال فحسب فقد تكاتف كل أفراد الشعب فى القيام بالأعمال اللازمة لإتمام مهمة الدفاع عن بلادهم بلا كلل أو ملل كما كان القائد الأمريكى أوليفر نورث يقول عنهم :

" إذا دمرت طريق فإقم يعيدون بناءه خلال ساعات ، وإذا قصفنا خمس شاحنات خلال الليل فإقم يرفعونها إلى خارج الطريق بحيث تستطيع خمس شاحنة متابعة طريقها . وفى بعض الأحيان كنا نسمع أصوات شاحنات جيش فيتنام الشمالية فى الليل ولكن كان من المستحيل علينا أن نوقفها .. "

(تحت النار - أوليفر نورث)

ويدو أن الشعب الفيتنامى من طول مقاومته للاستعمار - الفرنسى أولاً ثم الأمريكى لاحقاً - استعذب الألم ، وصنع من مقاومته للمحتلين مادة لصناعة التاريخ الفيتنامى فقد كانوا ينقلون حطام الطائرات الأمريكية التى يسقطونها إلى الميادين العامة وسط مظاهر الفرح والاحتفال ، وكانوا فى المدن الفيتنامية - على

معاناة أهلها - فقد كانوا يحرصون على الاحتفاظ بكل ما يمكن وضعه في المتاحف التي تضم بقايا القيود الحديدية التي كان الفرنسيين يقيدون بها أبناء الشعب كما كانت تضم هياكل الطائرات الأمريكية المحطمة .. أما أغرب ما كانت تضمه المتاحف الفيتنامية فهي نماذج لخطابات قدمها الطيارون الأمريكيون الأسرى إلى أهل فيتنام يؤكدون بها نواباهم الطيبة ورغبتهم الصادقة في أن يستقبلهم الشعب الفيتنامي بروح طيبة لأنهم لا ذنب لهم في هذه الحرب !

وقد ذكر الأستاذ صبرى أبو المجد أنه رأى هذه الخطابات وكان بعضها بالإنجليزية وبعضها بالفرنسية كما كان منها ماهو بالصينية أو الفيتنامية . وأخبره الفيتناميون أن كثيراً من الطيارين الأمريكيين - للعجب - كانوا يرفعون هذه الخطابات في أيديهم ويلوحون بها بمجرد هبوطهم بالمظلات ! أى أنهم كانوا يحتفظون بها معهم خلال قيامهم بالتحليق كما لو كان الأصل أن طائراتهم ستعرض للضرب وأنهم سيقعون في الأسر لا محالة !

إعتراف مثير :

ورغم أن أفراد الجيش الرسمي لفيتنام الجنوبية كانوا يحاربون إلى جانب الجيوش الأمريكية غير أن كثيرين منهم كانوا يجدون صعوبة نفسية بالغة في الدخول في معارك مع أبناء شعبيهم الثائرين على المحتل الأمريكي سواء من الشماليين أو الجنوبيين للدرجة أن واحداً منهم قد أدلى بإعتراف مثير : فقد كانت القوات الأمريكية تعين مكافآت لكل من يزرع لغمًا في طريق الثوار ، فكانوا في جيش الجنوب يسارعون لوضع هذه الألغام في الأماكن المطلوبة رغبة منهم في الحصول على المكافآت ، لكنهم في الحقيقة كانوا يرسلون إلى الثوار الخرائط التي تبين أماكن هذه الألغام ليستخرجها الثوار ثم يستخدمونها ضد الأمريكيين بعد ذلك !

وقد ذكر الأستاذ أبو المجد هذه الاعتراف الطريف في كتابه فيتنام شعباً ونضالاً .

● القيادة الفيتنامية :

من الصعب على من يتابع سنوات الكفاح الفيتنامي أن يتغافل عن دور القيادة الفيتنامية في تحقيق النصر .

والنصر الفيتنامي يتركز على عملاقين اثنين : أحدهما القائد الذي ألّف حول الفيتناميون " هوشى منه " على الرغم من أنه لم يعيش حتى يشهد النصر الكامل ، والثاني هو العبقري العسكري الجنرال " جياب " الذي دوّخ الجيوش الفرنسية قبل أن يمارس نفس الدور مع الجيوش الأمريكية .

كانت كلمات هوشى منه القوية الواثقة هي التي تلهب حماس البسطاء من شعب فيتنام ويرددونها كما النشيد :

" إن الشمال والوسط والجنوب .. إنما هي بلادنا نحن ، ومن المحقق أن بلادنا ستوحد ، وأن مواطنينا سيتحررون . "

" إن طبيعة الصخرة هي الثبات في مكانها دون أقل حركة ، ولكن إذا استجمع عدد من الأشخاص قواهم وأصبحوا كرجل واحد استطاعوا أن يحركوا الصخرة أبداً كانت ضخامتها .. وإن قوتنا عظيمة الدفع إلى أبعد حد ، ولن نستطيع العصاة الأمريكية الفيتنامية الجنوبية الخائفة أن تظل في مكانها كالصخرة . "

(هوشى منه الزعيم الأسطوري - جورج عزيز)

ولم يكن هوشى منه يعني الشعب بالنصر القريب والوعود المعسولة وإنما كان صادقاً معهم منذ البداية ففي خطاب له أذاعته صوت فيتنام في منتصف

عام ١٩٦٥ بعد عام واحد فقط من الهجوم الأمريكى على الشمال الفيتنامى
جاء فيه :

" إن الحرب قد تستغرق خمس سنوات .. عشرأ .. عشرين وربما أكثر ،
وستُدمر هانوى وباقي مدن فيتنام .. لكن لا شئ يعدل الحرية والإستقلال ، ويوم
النصر فإن شعبنا سوف يعيد بناء مدننا ويجعلها أكثر جمالاً مما كانت عليه . "

(نقلاً عن كتاب The 30- year war)

وكما يقول الأستاذ على فياض :

" كان هوشى منه أكثر قدرة على تقييم الموقف بموضوعية عالية ، لأن ثقته
الكاملة في الشعب المعبأ جيداً والمنظم جيداً والمسلح جيداً لم تمنعه من رؤية قوة
خصمه ، فصارح شعبه بأن الحرب قد تطول عشرين عاماً ، وأنها قد تدمرحتى
العاصمة والمدن الرئيسية قبل أن يتحقق النصر . "

(استراتيجية التفاوض - على فياض)

ورغم هذه القناعة بطول المعركة ومُنْها الفادح ، فقد كان حماسه الشديد
يشد من أزور أبناء شعبه الذين يخوضون هذه المعركة الضارية ، ومن المثير أن نذكر
أن كلماته المتأججة بالحماس ظلت محتفظة بنفس توهجها أثناء المفاوضات مع
الأمريكيين ؛ فكان يردد في كلماته للشعب الفيتنامى - والمفاوضات منعقدة - أن
الصراع الحقيقى هو في ساحة المعركة ، وأن القتال يجب أن يستمر حتى رحيل
آخر جندى أمريكى .

وقد ظل الشعب الفيتنامى مصفياً لكلماته مستجيباً لها لذا فقد استمروا في
معركتهم غير مباليين بما يحدث على طاولة المفاوضات من مداولات ومتاورات .

ولقد استطاع هذا الرجل النحيل - هوشى منه - صاحب اللحية الخفيفة أن يستحوذ على حب الشعب الفيتنامى ، ونجح في أن يجعلهم يلتفون حوله بفضل اندماجه التام معهم فكانوا إذا دارت المعارك الطاحنة رأوه في ساحة القتال وسط رجالهم ، وفي التاسع عشر من مايو (أيار) من كل عام كان الشعب الفيتنامى يحتفل معه بعيد مولده ، وقد ظلت الصحف حتى آخر احتفال له عام ١٩٦٩ - في عيد ميلاده التاسع والسبعين - تنشر صورته وهو يشارك الأطفال والصبية احتفالاً بهم ويرقص معهم في شوارع هانوى ، وإذا تأملت في صورته معهم تراه يرتدى ملابس بسيطة لا تختلف عن ملابس عامتهم ويجلس معهم على الأرض نفس جلستهم ..

ولذلك فقد أجمعت عليه طوائف الشعب الفيتنامى وأعطوه ولاعهم ووضعوا ثقتهم فيه بلا حدود ، ولا تزال صورة هوشى منه إلى الآن تصدر الأماكن الحكومية وتنتشر في أنحاء فيتنام بصفته المؤسس الحقيقي لفيتنام الموحدة الحرة .

أما الرجل الثانى "الجنرال جياب" وزير الدفاع على مدى سنوات المعركة لحكومة هانوى فهو حاصل على ليسانس الحقوق من جامعة هانوى عام ١٩٣٧ ثم دكتوراه في العلوم السياسية ١٩٣٩ وهو لا يزال حياً حتى كتابة هذه السطور . وكان التواضع الشديد يجمع بين الرجلين ، وكان هذا التواضع واضحاً في الردود والمحاورات التى تنشرها الصحف والمجلات على لسان كل منهما .

وعندما زار الأستاذ صبرى أبو المجد فيتنام أجرى حواراً مع الجنرال جياب هو الأول من نوعه في العالم العربى ونشرته جريدة المصور وقتها ، وكان مما جاء

فيه أنه عندما سأله الصحفيون الأجانب عن الأكاديمية العسكرية التي تلقى منها علومه أجاب في بساطة ضاحكاً " إنها كمان الغابات التي علمتني كل شيء "

وعندما وصلت البعثة العسكرية الفلسطينية بقيادة ياسر عرفات إلى وزارة الدفاع في هانوى ١٩٦٩ كان مما قاله الجنرال جياب لهم في بساطة وتواضع " نحن إيهما الرفاق لانوزع النصائح ، ولا نعلم الناس كيف يقاتلون .. نحن فقط نقدم لكم خبراتنا . "

(نقلاً عن التجربة العسكرية الفيتنامية - على فياض)

ومن وراء الرجلين كانت القيادات الفيتنامية كلها - متكاتفه - تتحمل مسؤوليتها في قيادة أبناء الشعب وهم يقامون بضراوة عدواً غاشماً انقض على بلادهم ليسلبهم الحرية .

● المفاوضات الفيتنامية :

إذا كانت البطولة في القتال مهمة مشتركة بين القائد والجندي فالصمود والثبات في المفاوضات هما من شأن القيادة وحدها ، وإن كانت القيادات - وبخاصة في مثل هذه المواقف - لا تستغنى عن مساندة شعوبها .

ولقد أثبت الشعب الفيتنامي بطولته أمام الجيوش الأمريكية لسنوات طوال ثم جاء دور التفاوض ، وكان من الواضح أن رجال السلطة الفيتنامية رغم تواضعهم يتميزون كلهم بصفة أخرى مشتركة في التفاوض جمعت بينهم على مدار السنوات رغم تغير أشخاصهم ، وكانت الصفة الأصيلة الثابتة في القيادات الفيتنامية هي الكبرياء الذي جعلهم يتعاملون مع الأمريكيين بكل صلابه وعناد .

وعندما توفي الزعيم الفيتنامي هوشى منه نفسه الذي قاد المعركة أمام الجيوش الفرنسية ثم الجيوش الأمريكية من بعدهم ظن البعض أن الموقف الفيتنامي سيطراً

عليه التغيير بلا شك بموته ، لكن الأيام أثبتت غير ذلك وكان واضحاً أن الموقف ظل ثابتاً لم يتغير ..

" وبعد وفاة هوشي منه في سبتمبر (أيلول) ١٩٦٩ اعتقد الأمريكيون أن الوقت مناسب للتفاوض مع حلفاءه عليهم يكونوا أقل تشدداً منه ، وطلبوا تحديد موعد جديد لكيسنجر في نوفمبر (تشرين ثان). لكن الرد الفيتنامي ذاته تأخر حتى الشهر التالي له وكان مضمونه إنه لا يوجد ما يستدعي هذا اللقاء ! "

(استراتيجية التفاوض - على فياض)

وقد تسبب هذا التأخر في الرد في حالة من الغيظ والسخط الشديد لدى كيسنجر لم يملك إخفاؤه في مذكراته الشخصية .

مذكرات هنري كيسنجر :

كان كيسنجر قد تولى مهمة التفاوض في أكثر من قضية خلال فترة سبعينات القرن العشرين حتى اشتهر بعدد من الأسماء مثل " داهية السياسة الأمريكية " و "مكوك السبعينات "

ولقد تولى كيسنجر بنفسه عملية التفاوض السرية ثم العلنية مع الجانب الفيتنامي لخمس سنوات متصلة ، وبكفى أن تلقى نظرة على مذكراته لتعرف على رؤية فيهم وفيما حدث أثناء التفاوض معهم .

والحقيقة أنه لم يتمكن - رغم دبلوماسيته - من إخفاء ما في نفسه من ضيق وحقن تجاه المفاوضين الفيتناميين مما ظهر واضحاً في تعبيراته وألفاظه وفي أكثر من موضع بالصورة التي تجعل القارئ يحس بمدى الماراة التي شعر هو بها من جراء هذه التجربة وبقاء هذه الماراة في حلقه حتى بعد أن انتهت المفاوضات بسنوات طويلة .

يقول كسينجر في بداية كلامه عن فيتنام :

" حتى اليوم لا أتمكن من الكلام عن فيتنام دون إبداء ألم وحزن عميقين . "

(مذكرات هنري كسينجر - الجزء الأول)

ويقول واصفاً الفيتناميين من وجهة نظره :

" بالإضافة لتعلقهم الشديد ببلادهم كان لدى الفيتناميين الشماليين ثقة لا تضاهى بانفسهم واحتقار لكل ما هو غريب عن ييتهم .. إن زعماء هانوى أظهروا أنهم لم يتخلوا بعد عن عناد قاسينا مرارته منذ سنوات .. "

(مذكرات هنري كسينجر - الجزء الثالث)

ولقد رأى كسينجر بوضوح لا ليس فيه أن لديهم شروطاً محددة لم تتغير رغم مرور السنين وتغير الأشخاص . فكما يقول :

" لم ينقصوا من طلباتهم حرفاً واحداً أثناء المفاوضات ، وكانت شروطهم :

يجب على أمريكا أن تنسحب دون قيد أو شرط من الهند الصينية ، كما يجب عليها إسقاط الحكومات المتحالفة معها في هذا البلد . "

(مذكرات هنري كسينجر - الجزء الثالث)

وعندما اختلف مع الفيتناميين في وجهات النظر حاول اقناعهم دون جدوى .. ويقول عن ذلك بمرارة :

" كنت أجد خلافاً متعباً جداً ، وكنت أعتقد أننا لن نتمكن من الوصول إلى كرامتنا إلا بدفاعنا عنها مع خصمنا ، وأُجبرت على إجراء عدة لقاءات لاقناعهم بوجهة نظري لكنني لم أصل إلى ذلك مطلقاً .. "

(مذكرات هنري كسينجر - الجزء الثاني)

ومما أوردته على لسان مفاوضيهم ليثبت للقارئ مدى جرأهم التي كان يسميها " وقاحتهم " :

" إننا نحن الفيتناميين نعيش هنا على هذه الأرض وسوف نبقي فيها إلى الأبد، لكنكم أنتم تأتون من الطرف الآخر من المحيط . أفلا يجب أخذ هذه الناحية بعين الاعتبار في الوضع الحاضر ؟ "

(مذكرات هنري كسينجر - الجزء الثالث)

وكان اصرارهم على استكمال المعارك يؤرقه ويزيد من حنقه عليهم بل ويعجزه عن التفاوض معهم لشعوره بالضعف أمام اصرارهم ..

" إن الفيتناميين الشماليين مستعدون للقتال طوال أجيال .. ويكفيهم أن يصمدوا أكثر منا .. لقد حاربوا بعناد بل وبيطولة ، وهدفهم إفشال استراتيجيتنا العسكرية وأرباك قواتنا والظفر بحلفائنا الفيتناميين الجنوبيين . "

(مذكرات هنري كسينجر - الجزء الثالث)

وفي النهاية كانت رسالتهم التي تتضمن مطالبهم واضحة في غاية الوضوح والبساطة والصرامة كذلك .. كما صاغها مفاوضهم كسينجر :

" على الولايات المتحدة تحديد تاريخ لانسحاب أحادى الجانب من قبلها قبل المفاوضات . وهكذا فإن المفاوضات تكفل بعدئذ بوضع مواصفات الانسحاب ومقابل ذلك يتعهد الفيتناميون الشماليون بعدم اطلاق النار على رجالنا عند الانحسار والمغادرة . وسيستمر القتال ضد فيتنام الجنوبية إلى أن تسقط حكومة سايجون .. "

(مذكرات هنري كسينجر - الجزء الثاني)

فهم إذن لن يتفاوضوا مع الولايات المتحدة على الانسحاب ! أبداً ، وإنما الانسحاب يأتي أولاً ، ثم بعد ذلك تأتي المفاوضات ، أما هدف المفاوضات فهو فقط لتناول تفاصيل الانسحاب .

وفي المقابل سيعطفون ويتكرمون - الفيتناميون - بعدم التعرض للقوات الأمريكية المنسحبة ، ثم يستكملون الحرب بعد انسحاب الجيوش الأمريكية مع حكومة الجنوب الموالية للأمريكان حتى يسقطوها !

والحقيقة أن المفاوضات بين الطرفين كانت نموذجاً فريداً من نوعه كما شهدت بذلك التغطية الإعلامية الأمريكية وغير الأمريكية ؛ فحسب ما وصفت وكالة اسوشيتدبرس الأمريكية ونقلته عنها جريدة الأهرام أن عملية المفاوضات بين الطرفين سادها "جو جليدى" ؛ فلم يحدث أن تصافح المفاوض الفيتنامي - مجرد مصافحة - مع البروفسور كسينجر أمام الصحفيين بعد انتهاء المحادثات كما جرت العادة !

ولم يكن المفاوض الفيتنامي موجوداً أبداً في استقبال البروفسور أو وداعه ، وتلقى كسينجر صفة باردة أمام الصحفيين عندما توجه في إحدى جلسات التفاوض إلى الفيلا التي تخص المفاوض الفيتنامي فلم يجد أحداً من الفيتناميين في انتظاره !

ولم تكن هذه الأخبار من الأسرار وإنما كانت تنشر في الصحف في كل بلاد العالم المترتبة لتعرف أخبار هزيمة المارد الأمريكي أمام المقاتل الفيتنامي العنيد ، وفي مصر نشرتها جريدة الأهرام خلال أيام التفاوض في شهر يناير (كانون ثان) ١٩٧٣ .

ولقد ذكر كسينجر أن الفيتناميين وصلوا في استعلائهم على الأمريكيين أثناء المفاوضات مبلغاً مثيراً للدهشة لدرجة أنهم عمسكوا هذا الاستعلاء عندما عرض

بنفسه عليهم قرار الولايات المتحدة بمنحهم معونة اقتصادية لبلادهم عقب توقيع الاتفاقية .. يقول كسينجر :

" أظهر - يقصد المفاوض الفيتامي - وكان هانوى (عاصمة الشمال) كانت تتوى أن تجود علينا بمعروف عند قبولها مساعدتنا .. على اعتقاد أنها تستحق هذه المعونة ! "

(مذكرات كسينجر - الجزء الثانى)

أما عندما تصافح الطرفان لأول مرة أمام الصحفيين ولوحا لهم بالأيدى فإن وكالات الأنباء تناقلت الحدث على أنه دلالة قاطعة على قرب الاتفاق وتسابق الإعلاميون إلى التقاط الصور وقامت معظم الصحف بنشرها .

وبالفعل كان هذا التنازل الفيتامى بعد أن تم الاتفاق على صيغة التفاوض المطلوبة ، وساعتها كانت الولايات المتحدة قد رضخت للمطالب الفيتامية وقسرت الانسحاب كلياً من البلاد من غير قيد ولا شرط ، ولذلك تغير مسلك المفاوض الفيتامى الصلب بعد أن نال ما أراد .

وقد نشرت جريدة أخبار اليوم الأسبوعية القاهرية بتاريخ ٢٦ يناير (كانون ثان) ١٩٧٣ أن المفاوض الفيتامى بعد أن تم توقيع الاتفاق أعطى قلمه لكسينجر وقال له : احتفظ بهذا القلم حتى تذكر أن عليك تنفيذ الاتفاق بدقة !

ولا يعنينا كثيراً إن نبحث عن السبب وراء هذه الصفات المتعالية إن كانت ضمن طبيعتهم الأصلية كما يحلل البعض وزاد منها موقفهم النضالى ، أو أن النجاح الذى حققوه والصمود لسنوات طوال والخسائر التى كبدها للأمريكان كان هو السبب وراء عنادهم وصلابتهم فى التفاوض معهم .

ولقد ظل الأمر معلقاً حتى انتهت المفاوضات التي تنص على الانسحاب الأمريكي وبعدها سلمت فيتنام أعداد من الأسرى الأمريكيين على دفعات متتالية إلى الولايات المتحدة .

• العون الخارجي :

نأتى الآن لأهم الأسباب وراء صمود الشعب الفيتنامي ، فلاشك أن المقاتل الفيتنامي كان مثلاً للبطولة والبسالة لكن هذه البطولة وحدها كانت ستجعله يصمد للضربات فحسب ، لكن الحقيقة أنه لم يكتف بالصمود بل وسدد الضربات الموجعة للجيش الأمريكي الغازي ، و كان السبب في ذلك هو وفرة السلاح في يده ، ولم تكن الوفرة فقط بل الجودة العالية أيضاً .

فقد تلقى الشعب الفيتنامي الدعم بأحدث انواع الأسلحة طوال سنوات الحرب مع الجيوش الأمريكية من الصين من ناحية ومن الاتحاد السوفيتي من ناحية أخرى .

" إن الجمهورية الديمقراطية في فيتنام الشمالية بالرغم من تخريب مدنها كنفَتْ مجهودها العسكري وتلقت تسليحاً سوفياتياً هاماً وعدة نجمات صينية وبخاصة في اللون والعتاد والأسلحة الخفيفة .. والاتحاد السوفيتي الذي كان قد دعم المقاومة الشيوعية الفيتنامية بشكل هادئ حتى عام ١٩٦٥ تعهد بتسليم العتاد بشكل أوسع بكثير .. "

(التاريخ الدبلوماسي - ج.ب. دروزيل)

وكما يقول الأستاذ ياسين الحافظ عن الشعب الفيتنامي :

" ها هو شعب صغير جداً وفقير جداً ، أقل عدداً من العرب بكثير وأقفر منهم بكثير جداً يواجه - مدعوماً بالقوى الاشتراكية العالمية - أعنى قوة

عسكرية وأكبر طاقة اقتصادية وأعلى تقنية عرفها التاريخ ويجبرها على التراجع محققاً وحدته.. "

(التجربة التاريخية الفيتنامية - ياسين الحافظ)

وقد ذكرنا قبل ذلك أن الولايات المتحدة اعترفت بسقوط ٣٧٠٠ طائرة مقاتلة بالإضافة إلى ٥ آلاف طائرة هليكوبتر خلال سنوات الحرب ، ولا شك أن هذا العدد المائل من الطائرات التي أسقطها المقاتلون الفيتناميون يدل دلالة واضحة على أن الحرب لم تكن تدور بين جيش مسلح في مقابل شعب أعزل وإنما كانت بين جيشين .

" لم يعد قتالاً بين القط والفأر كما ذكرت إحدى الصحف الأمريكية بل أصبح بين الأسد والنمر ، فأصبحت يد الثورة تطول المدن والمطارات والموانئ وأصبح الأمريكيون هدفاً ممكناً لضربات الثوار . "

(التجربة العسكرية الفيتنامية - على فياض)

يقول السيناتور الأمريكي وليام فولبرايت :

" أن الروس يسزودون فيتنام الشمالية بفيض لا ينقطع من المون والذخائر والعناد الحربي بما في ذلك القذائف الموجهة التي تُطلق من الأرض إلى الجو .. "

(غطرسة القوة - السيناتور وليام فولبرايت)

أما الصين الشعبية فقد كان لها دور كبير في مساندة الحركة الفيتنامية بحكم جوارها لفيتنام بطول الحدود الشمالية التي تبلغ حوالي ١١٥٠ كيلو متر .

" كانت المساعدات العسكرية المقدمة من الاتحاد السوفيتي لفيتنام تمر عبر الأراضي الصينية ، كما كان الصينيون يقدمون مساعدات هامة لها خاصة من حيث الأفراد إذ زجت الصين بأعداد كبيرة للقتال بجانب الفيتناميين .

وقام وفد من فيتنام الشمالية بزيارة موسكو وقع في نهايتها اتفاقاً مع الزعماء السوفيت تم بموجبه تقديم معونة قدرها نصف مليون دولار لحكومة فيتنام الشمالية كما تم الاتفاق على تقديم مساعدات عسكرية هامة .. "

(الصراع على العالم - جان النشأتين)

ولعل من المثير أن نعلم أن كلا الطرفين - السوفيت والصيني - كان يتنافس للقيام بدور أكثر فاعلية من الآخر لجذب الولاء الفيتنامي ناحيته ، فإذا زار مسئول صيني فيتنام فلا بد وأن يعقب ذلك زيارة من مسئول سوفيتي ، وإذا أدلى الاتحاد السوفيتي بتصريح بخصوص فيتنام بادرت الصين بتصريح مشابه .

ففى سبتمبر (أيلول) ١٩٧١ قام نائب رئيس الوزراء الصيني بزيارة لفيتنام حيث وقع اتفاقات للمساعدات الصينية العسكرية والاقتصادية إلى فيتنام ، وكذلك اتفاق التبادل التجارى بين البلدين . وقبل أن يمر شهر على هذه الزيارة كان رئيس الاتحاد السوفيتي بنفسه في هانوى في زيارة استمرت خمسة أيام وقع خلالها اتفاقات مماثلة للتي وقعها الزائر الصيني قبله .. وهكذا .

وعلى ذلك فقد كان المقاتلون الفيتناميون يمتلكون المدفعية العادية والمدفعية المضادة للطائرات والصواريخ المضادة للدبابات والأسلحة الخفيفة المتطورة ، وبداية من عام ١٩٦٥ ظهرت أول كمية ل سلاح الجو الفيتنامي ..

وكان هذا التسليح الفيتنامي المتميز يثير مخاوف القادة الأمريكيان فقد نشرت جريدة الأهرام القاهرة بتاريخ ٢٢ يناير (كانون ثان) ١٩٦٨ تصريحات أدلى بها في مؤتمر صحفي رونالد ريغان وكان في هذا الوقت حاكما لولاية كاليفورنيا قال فيها إن أكثر ما يقلقه أن قوات الثوار في فيتنام الجنوبية تستخدم أسلحة حديثة فالبندقية في يد المقاتل الفيتنامي تعتبر مماثلة للبندقية الأمريكية الحديثة في يد المقاتل الأمريكي .

وعندما تصلب المفاوض الفيتنامي في موقفه وتسبب هذا التعنت من جانبه في استمرار المفاوضات لسنوات دون التوصل إلى نتيجة كان السر في ذلك هو أن المحارب الفيتنامي كان لا يزال متطوعاً إلى تحقيق هدفه ، ونيل مراده في ساحة المعركة من غير حاجة إلى التنازل في مفاوضات تنقصه حقوقه ، ما دام يجد العون من الخارج .

" تشددت حكومة هانوى في موقفها ، ولم توافق على التفاوض حتى عام ١٩٦٨ ، وتركت المفاوضات تجرجر لسنوات عدة لأنها كانت تنوى الحصول على انسحاب الجيش الأمريكى . ومرد هذا التصلب إلى المساعدات المستمرة التى تغدقها موسكو على هانوى .. "

(تاريخ العالم المعاصر - بيار ميكال)

ومن المدهش أن نعلم أن الصين لم تكن تساند فيتنام وحسب بل وكانت كذلك تعارض بشدة فكرة التفاوض بين الفيتناميين والولايات المتحدة .

" أما الموقف الصينى فقد كان من البداية متحفظاً تجاه فكرة المفاوضات ، وبعد مباشرة المفاوضات أبلغوا الفيتناميين اعتراضهم عليها .. وكانوا يجرضون الفيتناميين على قطعها على أساس أن النضال يجب أن يكون في ميادين القتال وليس على مائدة المؤتمر وأنه لابد من الصمود في وجه الابتزاز الأمريكى عبر القصف الجوى .. "

(استراتيجية التفاوض - على فياض)

ولقد رأينا كيف أن الولايات المتحدة لوحت باستخدام السلاح النووي في فيتنام عقب هجوم التيت في ١٩٦٨ وهددت به مرة أخرى في يناير (كانون ثان) ٧٣ قبل توقيع الاتفاق لكنها لم تكن مملكت أن تنفذ ما هددت به خوفاً من الاتحاد

السوفييتي والصين وبخاصة أن الصين أعلنت رسمياً في المرة الأولى للتهديد أنها ستمد فيتنام بالقنابل الذرية إذا استخدم الأمريكان السلاح النووي .

والدعم السوفييتي والصيني لفيتنام لم يظهر فقط إبان الغزو الأمريكي بل كان سابقاً له أثناء عدوان القوات الفرنسية عليها ، فقد كان أكثر ما يرهق القوات الفرنسية هو تدفق الأسلحة على فيتنام من الصين ، ويكفي أن نعلم أن الهزيمة الفرنسية أمام الفيتناميين في موقعة ديان بيان فو الفاصلة التي تعد سبباً رئيسياً لانتهاء الغزو الفرنسي على فيتنام ودول الهند الصينية كانت ترجع في الأساس إلى المدفعية الصينية من وراء المقاتل الفيتنامي باعتراف الفرنسيين والفيتناميين معاً .

ولم تكن الدول الشيوعية وحدها هي التي ساندت فيتنام وإنما كان هناك تيار عام بين الدول الآسيوية لمساندة فيتنام لمجرد أنها دولة آسيوية مثلهم وحارة لهم تتعرض للإعتداء .

ولقد ذكر الأستاذ صبرى أبو المجد أنه سمع المظاهرات التي تهدف ضد الولايات المتحدة في قلب العاصمة الإندونيسية جاكرتا ، وعندما قابل عدداً من القادة الآسيويين علق بقوله :

" أيقنت بعد هذه المقابلات أن شيئاً ما يمتاز بمجده وقوته قد أخذ يربط الآسيويين بعضهم بعضاً أكثر من ذي قبل كما أخذ يغزو القارة الآسيوية ويعلو فوق الاختلافات المذهبية والإقليمية ويشكل تياراً قوياً معادياً للسياسة الاستعمارية الأمريكية .. "

(فيتنام شعباً ونضالاً - صبرى أبو المجد)

وهناك معلومة لعل أنسب عنوان توضع تحته هو صدق أو لا تصدق :

في الخمسينات كانت الطائرات الأمريكية تنتقل إلى فيتنام بطاقمها لدعم الجيش الفرنسي ، وكانت في طريقها إلى فيتنام تحتاج أحياناً لأن تتوقف في الطريق

للتزود بالوقود ، وعندما عرضت الولايات المتحدة على حكومة الهند أن تهبط طائراتها في مطارات سيلان التي تشرف عليها رفضت الحكومة الهندية التي يقودها جواهر لال نهرو هبوطها في مطاراتهم تضامناً مع فيتنام !!!!!!!!!!!!!

وأظن أنه من حقنا إكمال علامات التعجب حتى نهاية الصفحة أو حتى إلى نهاية الكتاب إن شئنا ونضرب أكفنا ببعضها حين نتذكر عدد الدول العربية والإسلامية التي فرشت مطاراتها بالورود للطائرات الأمريكية وهي تضرب مدن العراق الشقيق بقذائفها وقنابلها !

وجدير بالذكر أن الهند لم يكن يربطها بفيتنام أى رابطة بخلاف كونهما معاً ضمن دول القارة الآسيوية ، وتاريخ كل من البلدين لا علاقة له بالآخر بالإضافة إلى الاختلاف بينهما في الدين واللغة .

ورغم ذلك فقد كانت الهند من الدول التي اعترفت بفيتنام الشمالية ولها بما قنصلية ، وفي قلب المعركة وتحديدًا في يناير (كانون ثان) ١٩٧٢ قررت الهند رفع تمثيلها لدى فيتنام الشمالية من مستوى القنصلية إلى مستوى السفارة مما أثار غضب الولايات المتحدة - وهو أمر متوقع وبديهي - غير أن الولايات المتحدة لم تكن تملك أن تفعل شيئاً حيال ذلك !

وبذلك كله نجحت فيتنام في التصدي للجيش الأمريكية بكل ما تملكه من وسائل البطش والقوة .

" وهكذا استمرت الحرب الثورية العادلة في مواجهة الحرب العدوانية ١٥ سنة استخلم الأمريكيون خلالها أقصى ما يملكون من قوة بشرية وأسلحة ومعدات (دون النووية) ، واستعانوا بالملع جنرالهم واستراتيجيتهم ، لكنهم لم يستطيعوا تجنب الهزيمة .

أما دبلوماسية القوة التي اعتمدها الإدارة الأمريكية لتلقي الفيتناميين درساً قاسياً فإنها لم تستطع منع دبلوماسية " النعوش الطائرة " عبر المحيط من محاصرة البيت الأبيض وشل حركة البنتاجون .. "

(استراتيجية التفاوض في لتجربة الفيتنامية - على فياض)

تبقى كلمة من الإنصاف أن نذكرها ، فالحقيقة أن السلاح في يد المقاتل الفيتنامي كان بصورة أساسية من الإتحاد السوفيتي أو من الصين ، لكن السلاح الأمريكي كان كذلك يصل ليد المقاتل الفيتنامي العنيد ! فقد كان المقاتلون الفيتناميون كثيراً ما يغيرون على القوات الفيتنامية التابعة لحكومة سايجون ويستولون على السلاح الأمريكي من أيديهم للدرجة التي جعلت زعيم جيش التحرير في الجنوب الفيتنامي يُطلق على حكومة سايجون اسم " وزارة النقل " ! وعندما سُئل عن السبب في ذلك ذكر أن مهمتها الرئيسية هي نقل السلاح الأمريكي إليهم .

وهكذا كما رأينا فإن انتصار النموذج الفيتنامي يتلخص في أربع أجناب محددة :

- ١- بطولة شعب في التصدي والقتال .
- ٢- قيادة تجمع الشعب من حولها وخلفها .
- ٣- صلابة وعناد في المفاوضات .
- ٤- ومن وراء كل ذلك دعم عسكري بالغ القوة من الدول الشيوعية .

لماذا عن النموذج الفلسطيني ؟

بطولة الشعب الفلسطيني :

إن كنا قد تكلمنا عن بسالة الشعب الفيتنامي وبطولته ففي إمكاننا الكلام لصفحات وصفحات عن بطولة الشعب الفلسطيني وبسالة رجاله ونساءه بل وأطفاله كذلك .

وهذه البطولة ليست وليدة هذا الجيل فسجل تاريخ الجهاد الفلسطيني ينطق بهذا الجهاد المتواصل لهذا الشعب المناضل بداية بثورة القدس (عام ١٩٢٠) ومروراً بثورة البراق (عام ١٩٢٩) فتورة القسام (عام ١٩٣٥) فالثورة الكبرى (عام ١٩٣٦ - ١٩٣٩) وانتهاء بانتفاضة الأقصى المباركة التي لا تزال حتى الآن متأججة ساطعة تقض مضاجع الصهيانية وتزلزل أركان دولتهم .

عملة ذات وجهين :

لقد صمد الشعب الفلسطيني بكل طوائفه ، وأثبت بطولته جيلاً بعد جيل ، لكن ثباته ونضاله تحول إلى عملة ذات وجهين ، فمن ناحية هو تاج فخر لهم ومن ناحية أخرى كان هذا الثبات عار على الأمة الإسلامية كلها !

إنها بطولة الطفل الذي يقف أمام الدبابة بحجر ، والشاب الذي يفجر نفسه في عدد من الجنود ، فأين سلاح الدول العربية الذي تعج به مخازنهم ؟ ولماذا يقف الشعب الفلسطيني أعزلاً بلا سلاح يُذكر أمام آله الحرب الصهيونية ؟

لقد وقفت الدول الشيوعية بكل ثقلها وراء المقاومة الفيتنامية لأنها تنتمي إلى الفكر الشيوعي الذي جمع بينهم ، وساندت الدول الآسيوية فيتنام لأنها آسيوية مثلهم . ففي المقابل يحق لنا أن نسأل : أين الدول الإسلامية كي تناصر أهل ملتهم وعقيدتهم في كفاحهم العادل ؟

وأين هي الدول العربية التي تشترك مع أهل فلسطين في الجوار والدين واللغة والهوية وكذلك في التاريخ والجغرافيا كي تأخذ نفس الموقف من المقاومة الفلسطينية ؟

هل السلاح شحيح في يد العرب والمسلمين إلى هذا الحد الذي يجعل المحارب الفلسطيني لا يملك إلا أن يلجأ إلى الحجارة ؟
التسلح العربي :

إن الإحصائيات الرسمية الموثقة حول الإنفاق العسكري في البلدان العربية غائبة لأسباب أمنية ، غير أن الأرقام التي تنشرها الجهات والمؤسسات المعنية بالدراسات العسكرية تؤكد كلها حقيقة لا شك فيها وهي أن تنامي الإنفاق العسكري العربي في السنوات الماضية يعد ظاهرة تفرض نفسها .

ثمة عدد من الإحصاءات الخاصة بالإنفاق العسكري يمكن الاعتماد عليها بخلاف ما تصرح به الدول مثل " المعهد الدولي لأبحاث السلام " في استوكهولم وصندوق النقد الدولي الذي ينشر بيانات عن الإنفاق الحكومي في مختلف الدول وكذلك " وكالة الحد من التسلح ونزع السلاح " في الولايات المتحدة .

ومن خلال المقارنات بين الإحصائيات الصادرة من كل هذه المصادر يصبح من السهل الوصول إلى بعض الحقائق الموثقة .

" هناك اتفاق بين جميع مصادر تجارة السلاح على أن العالم العربي هو أكثر مناطق العالم الثالث انفاقاً حريياً وشراءً للسلاح ، ويذكر تقرير وكالة نزع السلاح والحد من التسلح الأمريكية أن العالم العربي أنفق عام ١٩٨٦ فقط ٦٢ ألف مليار دولار على القطاع الحربي .. "

(تجارة السلاح والأمن القومي العربي د . سامي منصور)

وعلى الرغم من هذه الإحصائية عام ١٩٨٦ فقد قامت انتفاضة الحجارة في فلسطين في العالم العام التالي ١٩٨٧

والانفاق العسكري لأى دولة يُنسب لأكثر من عامل ، فأحياناً حسب قيمته بالنسبة للدخل القومى لهذه الدولة نفسها، وأحياناً أخرى حسب عدد سكان الدولة لمعرفة نصيب الفرد من هذا الانفاق كما يمكن مقارنته باتفاق الدول الأخرى .

ولكن المدهش أن الانفاق العسكري العربى باستعمال أى من هذه المقاييس له مكانة متميزة وسط بلاد العالم كله ، ويكفى أن نعلم أنه لا يكاد يوجد دولة متحة للسلاح إلا وتبيع قدراً من اتاجها إلى العالم العربى !

" انفقّت الدول العربية ما يزيد على ١٠٠٠ مليار دولار على المؤسسات العسكرية خلال عقدين من الزمن - السبعينات والثمانينات - وكان العبء العسكري في الوطن العربى يمثل أعلى المعدلات في العالم ، كما أصبح الوطن العربى السوق الرئيسية لصادرات السلاح العالمية .. وقد فاقت معدلات نحو الانفاق العسكري في الوطن العربى معدلات نحو الدخل القومى ومعدلات نحو التكوين الرأسمالى الثابت لكل البلدان العربية . "

(السلاح والخيز . الانفاق العسكري في الوطن العربى - د. عبد الرزاق النفاسي)

ومن خلال مقارنة هذا الرقم يباقي الدول يمكن أن نصل للنتائج التالية :
" هذا الحجم من الانفاق يمثل حوالى نصف ما انفقته الدول الأوروبية الأعضاء في حلف شمال الأطلسي (الناتو) وثلاثة أضعاف جملة الانفاق للدول الرئيسية

المجاورة للوطن العربي (إيران - تركيا - أنبوييا - إسرائيل) كما يمثل ضعف الاتفاق العسكري لكل من قارتى أفريقيا وأمريكا اللاتينية مجتمعين . " (السلاح والخنزير . الاتفاق العسكري في الوطن العربي - د. عبد الرزاق الفاسي)

" تقرير أمريكي آخر حول أولويات العالم لعام ٨٥ يقول أن الدول العربية هي أكثر دول العالم انفاقاً على السلاح من منظور نصيب الفرد من هذا الانفاق. وقد حدد أكبر ١٢ دولة وفق نصيب الفرد وكان من بينها ٨ دول عربية .. " (تجارة السلاح والأمن القومي العربي - د. سامي منصور)

أما هذه الدول الثمانية فأربعة منها تحتل المراكز الأربع الأولى من الاحصائية (السعودية - قطر - الإمارات - عمان)

وإذا كان من المعروف أن الدور الأساسي للمؤسسة العسكرية في أي دولة هو المحافظة على الأمن الخارجي للدولة وصيانة حدودها الإقليمية وضمان استقلالها ، فيماذا تفسر هذا التنامي في الاتفاق العسكري للدول العربية إذا علمنا أن حوالى نصف الدول العربية لا يحيط بها جغرافياً سوى بلدان عربية أخرى !!

فلماذا أين يذهب كل هذا الانفاق على التسليح ، ولماذا توجه هذه العسكرة ؟ وهل يملك عاقل تفسيراً مفهوماً لأناس يوجهون سلاحهم لبعضهم البعض وعدوهم على القرب منهم يتحين فرصته كي ينال منهم ؟

إن السعودية والكويت والإمارات وعمان وقطر والبحرين واليمن وتونس ليس لها جوار مع دول غير عربية .

أما غير هذه الدول فهناك أربعة دول عربية يطلق عليهم اسم " دول الطوق " ويُقصد بها الدول التي تحيط بإسرائيل من كل جانب ، وهي مصر والأردن وسوريا ولبنان .

وباقى الدول العربية يحيط بها إحدى عشر دولة ؛ تسعة منها في أفريقيا (أثيوبيا وكينيا وأوغندا وجمهورية أفريقيا الوسطى وتشاد والنيجر ومالي والسنغال وزائير) ودولتين في آسيا (تركيا وإيران)

وبالنظر إلى هذه الأقطار نجد أن سبعة منها هي دول إسلامية ضمن دول منظمة المؤتمر الإسلامي (المنظمة الرسمية التي تضم الدول الإسلامية) وهي تشاد والنيجر والسنغال ومالي وتركيا وإيران بالإضافة إلى أوغندا رغم أن أغليتها السكانية ليست للمسلمين .

كيف يمكن للعراق أن يفسر هذا السباق العربي في التسلح بينما المقاتل الفلسطيني يقف أعزل من السلاح يبحث في الأرض عن حجر يلقيه في وجه الدبابة !

فإن كان يُعد بطلاً لأنه فعل هذا فالبطولة له وحده ، أما من حجب عنه السلاح الذي يدافع به عن نفسه فيماذا يمكن أن نصفه ؟

ومما يزيد الطين بلة كما يقولون أن السلاح تنطبق عليه نفس مقاييس الملابس عند بيوت الأزياء- رغم الاختلاف الشاسع - فكلاهما له موضة تبطل بمرور الموسم ! أى أن السلاح الذى تستورده الدول العربية وتضعه في المخازن يصبح بعد فترة من الوقت عبئاً على هذه الدول لأن سلاحاً آخر أكثر تطوراً قد ظهر في الأسواق وتحتاج أن تقتنيه تلك الدول حتى ولو لم تستخدم بعد القدامى الذى بطلت موضته !

وكما يقول د. سامي منصور :

" إن مشتريات السلاح في العالم العربى تتم على طريقة مشتريات ربوات البيوت العرب ، فهى تشتري ما تجده وليس ما تريده .. إذ يشتري العالم العربى

في الأغلب ما تعرضه شركات السلاح عليه وليس ما يحتاج إليه العمل الحربي العربي .. "

(تجارة السلاح والأمن القومي العربي - د. سامي منصور)

المفاوضات العربية :

الحقيقة أن الحديث عن المفاوضات العربية - الإسرائيلية بعد أن تحدثنا عن المفاوضات الفيتنامي يكون أمراً في غاية الحرج !

وكما يقول الأستاذ على فياض : " كان الأمريكيون هم الذين يطلبون مواعيد للاجتماعات العلنية أو اللقاءات السرية ، وقد كانت الردود والإجابات الفيتنامية عليهم غالباً ما تأتي متأخرة ، ولم يكن المفاوضون الفيتناميون في عجلة من أمرهم ، ولم يكثرثوا كثيراً بالمواعيد التي يقترحها المفاوضون الأمريكيون وكانوا يتعمدون تأخيرها عدة أيام أو أسابيع .. أما الموقف في الحالة العربية - الإسرائيلية فمقلوب تماماً ، فقد كان منظر الوفود العربية في مفاوضات واشنطن يدعو للشفقة وهي تنتظر في ردهات الخارجية الأمريكية وصول الوفد الإسرائيلي لعدة أيام متتالية بعد رفضه الموعد الذي حددته الخارجية الأمريكية على غير هواه . "

(استراتيجية التفاوض - على فياض)

وأي صورة نتوقعها للمفاوضة بين طرفين أحدهما يملئ شروطه ويفرض غطرسته وليس أمام الآخر مفر من أن يسلم بل ويستسلم !

وقفة لا بد منها :

وبعد .. فهل نقف مكتوفى الأيدي ؟؟

لأظن أحداً سيقن أن خلاصة هذه المقارنة أن المهمة كلها تنحصر في قيام الدول العربية والإسلامية بتسليح الفلسطينيين وأنه دور يخص الحكومات فلا دور للشعوب ولا للأفراد . بالطبع ليس هذا هو المقصود وإنما على كل جهة أن تقوم بالمهمة المطلوبة منها : فالحكومات عليها مساندة لأهل فلسطين ؛ المساندة العسكرية بالسلاح و المساندة السياسية والاقتصادية والإعلامية ، كما أن عليها أن تقوم باحكام الحصار - بكل معانيه - على العدو الصهيوني سياسياً وإقتصادياً وإعلامياً .

وإذا كان هذا هو الدور المنتظر من الحكومات فعلى الشعوب أن تساند الحكومات في هذا الدور للقيام به على الوجه الأكمل بالثبر والمال والتطوع بالنفس إذا اقتضت الحاجة .

أما إذا تغلّت الحكومات عن دورها بل وقامت بالعكس تماماً : فسمحت بالتعامل مع العدو واعتبرته " دولة صديقة " حتى صرنا نستقبل وزراء الصهاينة بالترحاب ونسمح لهم بإرسال السفراء يدنسون أرضنا ، ونصدر لهم ونستورد منهم في غير كلفة . أما المقاومة الفلسطينية الباسلة فتصيبها من الحكومات العربية والإسلامية يبدأ - في أحسن صوره أحواله - بالصمت المطبق انتهاءً بمن يسوى بينها وبين الإرهاب الإسرائيلي مطالباً بوقف الاتنين معاً !

إذا تخلت الحكومات عن دورها ووقفت هذا الموقف المخزى الذى سيسطره التاريخ بمداد أسود فإن دور الشعوب والأفراد على النقيض لابد وأن يتضخم حتى يملأ الفراغ ويسد الثغرة بكل ما أوتى من قوة .

والشعوب فى الحقيقة أقوى من الحكومات لو عرفت كيف تستغل قوتها ووجهتها لما تريد من غير أن تنحرف فى الخلافات الداخلية والمزالق التى تبدد الجهود ، لكن أزمنا الكبرى تكمن فى أنهم قد نجحوا فى إن يجعلونا نفقد الثقة فى أنفسنا وفى قوتنا فى الوقت الذى أظهرنا فيه أنفسهم كأنهم قدر الله المنزل فلا راد له وأنهم الذين لا يُغلب لهم تدبير وأنهم .. وأنهم .. كأنهم فى المحصلة النهائية إله يستحق العبادة !

لكن الحقيقة غير ذلك والتاريخ هو خير من يشهد بيننا وبينهم ..

ودعونا نتكلم فى غير الحروب ، ألا نذكر مكوك الفضاء الأمريكى "تشالينجر" ؟ إذا بحثت عن معنى الكلمة اللغوى فى القاموس " challenger " ستجد أن معناها " المتحدى " ولا أدرى تحديداً ما هى الجهة التى كان هذا المتحدى ينرى تحديها بالضبط ، لكن كل الذى علمناه أن هذا المتحدى بعد أن انطلق كالطاووس مزهوا ببديع صنعه لم يأخذ فرصته لكى يتحدى أحداً بالمرّة لأنه انفجر بعد ٧٣ ثانية من إنطلاقة ! ولعل أحداً يقول أن هذا الأمر قد حدث منذ سنوات طويلة ، فقد انفجر تشالينجر فى ٢٨ يناير (كانون ثان) ١٩٨٦ ولم يكن العلم والدراسات والتكنولوجيا .. إلخ قد وصلوا لما عليه الأمر فى يومنا الحالى ، ولكن الأمر تكرر بعد سبعة وعشرين عاماً فى نفس التوقيت تقريباً رغم تقدم العلم والدراسات والتكنولوجيا وخلافه .

فقد انفجر مكوك الفضاء الأمريكى " كولومبيا " فى الأول من فبراير (شباط) ٢٠٠٣ بينما كانوا ساعتها ينتظرونه هبوطه سالماً وقد أعد الجميع العدة

لاحتفال ضخم يليق بالأبطال العالدين بعد أن أمضوا ستة عشر يوماً في رحلة ناجحة في الفضاء ومعهم الكولونيل الصهيوني "إيلان رامون" كأول طيار صهيوني يصعد إلى الفضاء .

وكان المكوك "كولومبيا" قد خضع لعملية فحص وصيانة عام ١٩٩٩ أدخل عليه فيها علماءهم حوالي ١٠٠ تعديل ليكون أعجوبة في مستواه من حيث الدقة والكفاءة حيث تكلف ما يقدر بحوالي ثلاثة ملايين دولار ! لكن الذي حدث أنه خيب ظنهم .

فكيف يصدق أحد بعد ذلك أنه ليس في استطاع أحد أن يقف أمامهم وأنهم لا يُغلبون ولا يُفْهَرُونَ .. وأنتا لا تملك أن تتحداهم ، وإذا فعلنا فستكون كالجثث الذي يقف في وجه القطار .. وأنهم إذا أرادوا أن يفعلوا بنا شيئاً فليس أمامنا سوى التسليم لمشيئتهم .

إن الشواهد كلها تؤكد لنا أننا بمثل هذه الأوهام نستخف بأنفسنا وبقوتنا بشكل مزرى في الوقت الذي نعظم فيه كثيراً من شأن أعدائنا ، وهذه هي أول خطوة من خطوات طريق الهزيمة .. إنه الإهزام الداخلي .

إن الله سبحانه وتعالى يخبرنا في كتابه في أكثر من موضع بأن النصر من عنده " وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم " آل عمران آية ١٢٦ وأنه حليف المؤمنين ولو كانوا قلة قليلة أمام كثرة غارقة في سلاحها " كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة ياذن الله " البقرة آية ٢٤٩ .

لكن الله عز وجل يخبرنا كذلك بأن النصر يأتي من عنده بعد أن يستفرغ الناس جهدهم وطاقتهم كما أمرهم الله عز وجل " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل .. " الأنفال آية ٦٠ .

وعندما نعد ما فى وسعنا من قوة - أى قوة - ونشجذ هممنا ، يحق لنا
ساعتها أن نتظر النصر من عند الله عز وجل وسيأتينا النصر لأننا صرنا نستحقه .
وكما يقول المولى تبارك وتعالى " وكان حقاً علينا نصر المؤمنين " الروم آية ٤٧
والقاعدة التى وضعها الله ناموساً للكون " إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بأنفسهم " الرعد آية ١١

وختاماً :

بعد أن أخذنا هذه العينة الصغيرة من الحروب الأمريكية ووضعناها تحت الميكروسكوب التاريخي فماذا رأينا ؟

رأينا الجيوش الأمريكية الظافرة وهي تقصف المدنيين في القرى والمدن الفيتنامية وتغير عليهم فتدمر مدارس الصغار ومستشفيات المرضى .

رأينا الجنود الأمريكيين الأبطال وهم يبيدون الأسر بكاملها نساءها وأطفالها وشيوخها في قرية " ماى لاي " ليقضوا على سكانها الخمسمائة في ساعات معدودة والبتاجون الأمريكي يخفي الخبر ويتكتم عليه .

رأينا القيادة الأمريكية تصدر أوامرها بمعاينة الغابات الفيتنامية ، وصب آلاف الجالونات من المبيدات القاتلة بمختلف أشكالها وألوانها ؛ الأحمر والأزرق والأبيض ..انتهاءً بالعبائل البرتقالي الفتاك على أشجار الغابات فتتمحوها وتقضي على خضرها لسنوات طوال تاركاً وراءه الخراب .

رأينا جيوشهم " الظافرة " وهي تفر مذعورة كالفران من أمام المقاتل الفيتنامي العنيد الذى رفض أن يحتل أرضه الغريباء وأبى أن يفرط في أرضه وداره .

ورأينا المفاوض الأمريكي وهو يستحدى الموعد من القيادة الفيتنامية العنيدة ، حتى إذا جلسا معاً على طاولة المفاوضات وجد نفسه عاجزاً أمام الشموخ الفيتنامي ، ولا يملك غير أن يكظم غيظه إزاء الإهانات الفيتنامية الثقيلة أمام كاميرات الصحفيين على مرأى ومسمع من العالم كله .

رأينا القيادة الأمريكية تتخلى عن غطرستها وتنسى أحلامها وهى تقرر
الانسحاب من الأراضي الفيتنامية ، بعد أن تحولت الأحلام إلى كوابيس مرعبة ،
ويتنفس هؤلاء القادة الصعداء حين يصلون لحل يرضى عنه أهل فيتنام البسطاء .

ثم أخيراً رأينا الجنود الأمريكيين " المغاوير " وهم يخرجون خزائنا من فيتنام بعد
أن نسوا أوهام أكاليل الغار التى راودت أحلام قادتهم ، وتلطخت جباههم
بأوحال المستنقعات الفيتنامية !

إن قائمة المتجربين فى الأرض طويلة لا نهاية لها ، جانكيزخان وهولاكو يحتل
كل واحد منهما بجمسه رقماً فيها فأين هم الآن ؟

لقد زالوا وزالت دولتهم وهيتهم ، ولو قيل لأحد ممن عاصر عنفوان قوة
هولاكو أن الزمان سيطوية يوماً هو وجيشه ، وأن الحق سيظهر وينتصر وتكون له
الغلبة لما صدق ، لكنهم ذهبوا وبقي تاريخهم الأسود وذكراهم الخبيثة ، وكذلك
سيكون مصير كل جبار فى الأرض لا محالة .

وكل ما هو آت قريب ، ولعله يكون أقرب مما نتصور .

المراجع

- ١- الامبراطورية الأمريكية - بأقلام نخبة من الكتاب
مكتبة الشروق ٢٠٠١
- ٢- استراتيجية التفاوض في التجربة الفيتنامية - على فياض
دار كتعان بالتعاون مع مؤسسة عيال للدراسات والنشر
- ٣- ١٢ عاماً من التضامن الأفريقي الآسيوي - مطبوعات أفريقية آسيوية
إصدار رقم ٣٦ - عام ١٩٧٠
- ٤- تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية - د. عبد العزيز سليمان نوار ، د. محمود
محمد جمال الدين دار الفكر العربي
- ٥- تجارة السلاح والأمن القومي العربي - د. سامي منصور
مكتبة مدبولي ١٩٩١
- ٦- التجربة العسكرية الفيتنامية - على فياض
مؤسسة عيال للدراسات والنشر ١٩٩٠
- ٧- التجربة التاريخية الفيتنامية - ياسين الحافظ
دار الحصاد ١٩٩٧
- ٨- حضارة الدم وحصادها - نزار بشير
دار الزهراء للإعلام العربي ٢٠٠٣

٩- السلاح والخبز . الاتفاق العسكري في الوطن العربي ١٩٧٠ - ١٩٩٠

د. عبد الرزاق الفاسي - مركز دراسات الوحدة العربية

١٠- فيتنام . قصة كفاح شعب - محمد جلال عباس

دار المعارف ١٩٧٠

١١- فيتنام الجنوبية تواجه العاصفة - محيى الدين فوزى ، إبراهيم عارف

مجموعة كتب سياسية - الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٣

١٢- فيتنام شعباً ونضالاً - صبرى أبو المجد

دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - سلسلة في المعركة ١٩٦٩

١٣- مبادئ الرؤساء الأمريكان - سليم الحسن

دار الإسلام للدراسات والنشر

١٤- معجم بلدان العالم - محمد عتريس

الدار الثقافية للنشر ٢٠٠٢

١٥- معجم الحروب - د. فردريك معقوق

جروس بروس

١٦- موسوعة الغذاء - مؤسسة الأهرام ١٩٨٠

١٧- موجز تاريخ آسيا الحديث والمعاصر - د. ميلاد المقرحى

منشورات ELGA ١٩٩٩

١٨- هوشى منه الزعيم الاسطورى - جورج عزيز

سلسلة اقرأ - دار المعارف

كتب مترجمة :

- ١- أمريكا والفرصة التاريخية - ريتشارد نيكسون
ترجمة د. محمد زكريا إسماعيل - مكتبة بيسان ١٩٩٢
- ٢- الاخوة كيندى - أ. جروميكو، أ. نوكوشين
ترجمة د. ماجد علاء الدين ، شحاتة عبد المجيد - مطابع الصباح
- ٣- التاريخ الدبلوماسي - ج. ب. دروزيل
ترجمة د. نور الدين حاطوم - دار الفكر ١٩٦٦
- ٤- الصراع على العالم - جان النشتاين
ترجمة موسى الزغبي - الشاربي للنشر والتوزيع ١٩٩١
- ٥- تاريخ العالم المعاصر - يار ميكال
ترجمة يوسف ضومط - دار الجليل ١٩٩٣
- ٦- تحت النار - أوليفر نورث ترجمة المقدم الركن إلياس فرحات دار المناهل
للطباعة والنشر ١٩٩٢
- ٧- حرب أو سلم - جون فوستر دالاس
ترجمة عفيف الصمدى - دار النشر للجامعيين ١٩٥٨
- ٨- غطرسة القوة - السيناتور وليام فولبرايت
ترجمة محمود شكرى العدوى - دار الكتاب العربى للطباعة والنشر
- ٩- ما بعد عقدة فيتنام . اتجاهات التدخل الأمريكى فى الثمانينات - مايكل
كلير ترجمة د. محبوب عمر مؤسسة الأبحاث العربية ١٩٨٢

١٠- موجز تاريخ الولايات المتحدة - آلان نيفيز ، هنرى كوماجر

ترجمة محمد بدر الدين خليل - الدار الدولية للنشر والتوزيع ١٩٩٠

١١- مذكرات بيتر أرنيث

ترجمة أحمد هريدى - مكتبة مدبولى ١٩٩٦

١٢- مذكرات هنرى كسينجر فى البيت الأبيض (أربعة أجزاء)

ترجمة خليل فريجات - دار طلاس

١٣- مفهوم السياسة الخارجية الأمريكية - هنرى كسينجر

الهيئة العامة للكتاب - إعداد د. حسين شريف

١٤- نصر بلا حرب - ريتشارد نيكسون

مركز الأهرام للترجمة والنشر ١٩٩٩

كتب اجنبية :

1- The 30- year war 1945- 1975

volume2 2001 Gioi Publishers

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة
٩	تمهيد
١٥	حرب فيتنام
١٩	دولة فيتنام
٥١	معركة الجيوش الأمريكية في فيتنام
٩٣	ختام القصة
١٠٣	كيف يجمع الشعب الفيتنامي؟
١٣٠	بطولة الشعب الفلسطيني
١٣٦	وقفة لابد منها : وبعد .. هل نقف مكتوفى الأيدي؟؟
١٤١	وختاماً
١٤٣	المراجع

منتدى اقرأ الثقافي

www.iqra.ahlamontada.com

هزيمة أمريكا فى فيتنام

فى هذا الكتاب أخذت المؤلفة عينة من الحروب الأمريكية ووضعتها تحت

الميكروسكوب التاريخى فماذا رأينا ؟

- رأينا الجيوش الأمريكية تقصف الفيتناميين فى القرى والمدن الفيتنامية وتغير عليهم فتدمر مدارس الصغار ومستشفيات المرضى كما رأينا الجنود الأمريكيين الأبطال وهم يبيدون الأسر بكاملها نساءها وأطفالها وشيوخها فى قرية « ماى لاي » ليقضوا على سكانها الخمسمائة فى ساعات معدودة والبنّاجون الأمريكى يخفى الخبر ويتكتم عليه .
- رأينا القيادة الأمريكية تصدر أوامرها بمعاقبة الغابات الفيتنامية ، وصب آلاف الجالونات من المبيدات القاتلة للقضاء على أشجار الغابات فتحوها وتقضى على خضرتها لسنوات طوال .
- رأينا جيوشهم « الظافرة » وهى تفر مذعورة كالفئران من أمام المقاتل الفيتنامى العنيد الذى رفض أن يحتل أرضه الغريباء ، بل رأينا المفاوض الأمريكى وهو يستجدى الموعد من القيادة الفيتنامية العنيدة حتى إذا جلسا معاً على مائدة المفاوضات وجد نفسه عاجزاً أمام الشموخ الفيتنامى .
- رأينا رأى العام الأمريكى وهو يتظاهر رافضاً حرب فيتنام ليس حياً فى الفيتناميين ولكن لوقف نزيف الدم الأمريكى والذى وضع فى أن العاندين لم يخرجوا عن كونهم إما جثة هامة أو مشوه أو جريح فضلاً عن الأمراض النفسية والعصبية بل وصل الأمر إلى رفع رايات العصيان بعدم ارتداء الزى العسكرى . والذهاب إلى فيتنام .
- ولا يبقى إلا أن نقرر أن وضع الشعب الفلسطينى بأهله وكوادره محاطاً بالدول العربية الغنية المستوردة لأكبر وأحدث أسلحة فى العالم نقول أنه ومثله الشعب العراقى أحق بالمساعدة بالمال والسلاح فرغم كل ما يجرى فهم فى ظروف أفضل مما كان فيه الأبطال الفيتناميون .